جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

آراء يونس بن حبيب النحويّة ورواياته في كتاب سيبويه
(دراسة وصفيّة نحويّة)

الدكتور

محمد سعد محمد أحمد

أستاذ النحو والصرف المساعد ، قسم اللغة العربية ، الكلية الجامعيّة برنية - جامعة الطائف ، المملكة العربية السعودية ، والمعار من قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة الخرطوم .

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الجزء الثامن

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

آراء يونس بن حبيب النحويّة ورواياته في كتاب سيبويه

(دراسة وصفيّة نحويّة)

محمد سعد محمد أحمد

أستاذ النحو والصرف المساعد ، قسم اللغة العربية ، الكلية الجامعيّة برنية - جامعة الطائف ، المملكة العربية السعودية ، والمعار من قسم اللغة العربية - كلية التربية - جامعة الخرطوم ـ السودان .

البريد الإلكتروني: mohammedahamed36@yahoo.com

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إظهار آراء يونس بن حبيب النحويّة ورواياته في كتاب سيبويه والنظر فيها بعين الفحص والتمحيص والتصنيف ؛ وممّا دفعني دفعاً لهذا البحث عدم وجود مصنفٍ خاصٍ بالنحو لهذا العالم الجليل وتناثر آرائه في الكتب المختلفة خاصة "كتاب سيبويه" الذي عُدّ فيه الرجل الثاني – بعد الخليل – من حيث كثرة الآراء والروايات؛ وهذه الناحية الأخيرة تثير الاهتمام العلمي في البحث والتنقيب.

وقد تعددت مشارب آراء هذا العالم الجليل النحويّة في كتاب سيبويه وتباينت؛ فنجده أحياناً ينفرد بآراء خاصةٍ به ؛ ويوافق الكوفيين حيناً آخر ؛ ويماثل رأيه أحياناً رأي نحاة آخرين كالخليل وأبي عمرو وسيبويه وغيرهم . وفي جانب الروايات يُلحظ كثرة روايات الشواهد النحويّة التي وصلت عن طريقه ؛ إلى جانب كونه راوياً رئيساً لآراء أستاذه أبي عمرو بن العلاء . وتفاصيل كلّ هذا وغيره سوف تتضح من خلال السطور القادمة إن شاء الله .

وسوف يتسلسل الحديث في هذا الموضوع بدءاً من نشأة النحو العربيّ ومدارسه؛ ثم سيرة هذا العالم الجليل ؛ ثم تأتي تفاصيل آرائه ورواياته في كتاب سيبويه؛ ثم تُختم الدراسة بخلاصة تحصر أهم ما دار فيها وما توصلت إليه من نتائج .

الكلمات المفتاحية : يونس بن حبيب ــ آراء يونس ، كتاب سيبويه ، دراسة وصفية ، آراء نحوية ، دراسة نحوية .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

Grammatical Perspectives of Younis Ibn-Habeeb as introduced in his book "Sibawayhee"

Mohamed Saad Mohamed Ahmed

Professor of grammar and auxiliary exchange, Department of the Arabic Language, Ranyah University College - Taif University, Saudi Arabia, and the opposition from the Department of Arabic Language - College of Education - University of Khartoum - Sudan.

Email: mohammedahamed36@yahoo.com

Abstract

This paper aims at demonstrating and reviewing different grammatical views of the Arab linguist Younis ibn Habib as stated in his book " Sibawayhee " .In other words, the study intends to explore Ibn -Habeeb's perspectives and ideas on Arabic grammar in order to further scrutinize and elaborate them. What actually lead the researcher to write this paper is insufficiency of the amount of grammatical books that explore Ibn-Habeeb ideas about Arabic grammar. These ideas are basically expressed throughout many of his different works particularly the book entitled "Sibawayhee" which raises a lot of research. Ibn- Habeeb's' opinions on Arabic grammar as introduced in his book "Sibawayhee"are extremely varied. For instance , although he had developed his own unique approach to Arabic grammar , a lot of his insights and viewpoints correspond directly to Alkwofa school of grammar and match many other similar views developed by some other prominent Arab grammarians such as Al-Khalil ibn Ahmad , Abu-Amr Alaa and Sibawayhee . Moreover, Ibn –Habeeb reported a lot of models and examples as grammatical evidences concerning different aspects of Arabic language grammar .

The present study starts in its first section with historical overview of Arabic grammar and its schools while successive sections are wholly devoted to provide a brief account of Ibn-Habeeb and to review his significant views and opinions on Arabic Grammar . Finally, the study concluded with results and recommendations .

Keywords : Younis bin Habib - Araa Yunus, Sibawayh book, descriptive study, Anna grammar, grammatical study.

بسم الله الرحمن الرحيم

أوّلاً : نشأة النحو وأسبابها :

كلُّ علمٍ من العلوم أو فنّ من الفنون كائن حيّ يخضع لما يخضع له الأحياء من سنن الحياة ؛ فيبدأ جنيناً فرضيعاً فطفلاً فيافعاً ففتى فشاباً فرجلاً اكتمل بناؤه . وهذا التدرّج المعهود انطبق على نشأة النحو العربيّ ؛ فقد بدأ يسيراً عاماً ثم اكتمل عود قوامه فيما بعد (١).

وتقول معظم المصادر بأوّليّة أبي الأسود الدؤلي ظالم بن عمرو بن سفيان في هذا العلم(٢) ؛ قال ابن سلّام الجمحي : (وكان أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها أبو الأسود ؛ وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر بن نفاثة بن حلس ابن ثعلبة بن عدي بن الدئل ، وكان رجل أهل البصرة ، وكان علويّ الرأي) (٣). ويقول أبو الفرج الأصفهاني عنه : (وهو كان الأصل في بناء النحو وعقد أصوله) (٤).

---

١ / انظر من تاريخ النحو العربي – سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني ، طبعة مكتبة الفلاح ، ص٤ .

٢ / انظر إنباه الرواة على أنباه النحاة – القفطي : جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف ، المكتبة العنصرية ، ط١ ، بيروت – ١٤٢٤هـ ، ج١ ص٤٩ ، وانظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة المكتبة العصرية – لبنان / صيدا ، ج٢ ص٢٢ ، وانظر أخبار النحويين – أبو طاهر البزّار : عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم ، تحقيق : مجدي فتحي السيّد ، طبعة دار الصحابة للتراث ، ط١ ، طنطا – ١٤١٠ه ، ص٢٣ .

٣ / طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، طبعة دار المدني – جدة ، ج١ ص١٢ .

٤ / الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين ، تحقيق : د. إحسان عباس ود. إبراهيم السعافين والأستاذ : بكر عباس ، طبعة دار صادر ، ط٣ ، ٢٠٠٨م ، ج١٢ ص ٢١٥ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

واختلفت الروايات في سبب وضعه النحو ؛ فمنها ما يقول : أنّه عندما سُئل من أين لك هذا العلم (يعنون النحو) ؟ أجاب : لُقّنت حدوده من عليّ بن أبي طالب عليه السلام . ومنها أيضاً الرواية التي تذكر أنّه جاء إلى زياد قومٌ فقالوا : أصلح الله الأمير – توفي أبانا وترك بنون ، فقال زياد : توفي أبانا وترك بنون ! ادع لي أبا الأسود ؛ فقال : ضع للناس العربية ، وقيل : أنّه كان استأذنه في وضع كتاب؛ فنهاه ؛ فلمّا سمع هذا أمره بوضعه . وقيل : إنّ زياد بن أبيه قال لأبي الأسود : إنّ بنيّ يلحنون في القرآن ؛ فلو رسمت لهم رسماً ؛ فنقّط المصحف (١).

وقيل : إنّ ابنةً لأبي الأسود قالت له : يا أبت ما أشدُّ الحرُّ ! فقال لها : إذا كانت الصقعاء من فوقك والرمضاء من تحتك ، فقالت : إنّما أردت أنّ الحرّ شديد، فقال لها : فقولي إذن : ما أشدَّ الحرَّ . وقيل : إنّه دخل إلى منزله فقالت له بعض بناته : ما أحسنُ السماءُ ! فقال : أي بنيّة : نجومها ، فقالت : إنّي لم أرد أيّ شيء منها أحسن ؟ وإنّما تعجّبت من حسنها ؛ فقال : إذاً فقولي : ما أحسنَ السماءَ ! فحينئذٍ وضع كتاباً (٢).

وقيل : أتى أبو الأسود عبد الله بن عباس ؛ فقال : أرى ألسنة العرب قد فسدت ؛ فأردت أن أضع شيئاً يقوّمون به ألسنتهم ، قال : لعلّك تريد النحو ؛ أمّا إنّه حقٌّ ، واستعن بسورة يوسف (٣).

---

١ / إنباه الرواة على أنباه النحاة – القفطي ، ج١ ص٥١ .

٢ / انظر تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم – التنوخي : أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر المعري ، تحقيق : الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، طبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط٢ ، القاهرة – ١٩٩٢م ، ص١٦٧ ، وانظر إنباه الرواة على أنباه النحاة – القفطي ، ج١ ص٥١ .

٣ / انظر إنباه الرواة على أنباه النحاة – القفطي ، ج١ ص٥١ .

وقيل : إنّه لمّا ولي زياد العراق بعث إليه بقوله له : اعمل شيئاً تكون فيه إماماً تُعرب به كتاب الله تعالى ، وينتفع الناس به ، فاستعفاه من ذلك ؛ حتى سمع قارئاً يقرأ : (إنّ الله بريءٌ من المشركين ورسولِه) ؛ فقال : ما ظننت أمر الناس صار إلى هذا . فرجع إلى زياد فقال : أنا أفعل ما أمر به الأمير ؛ فليُتبعني كاتباً لقناً يفعل ما أقول ؛ فأُتي بكاتبٍ من عبد القيس ، فلم يرضه ، فأُتي بآخر – قال المبرد أحسبه منهم – فقال له أبو الأسود : إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فانقط فوقه نقطة ، وإذا رأيتني قد ضممت فمي فانقط نقطة بين يدي الحرف ، وإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف ، فإن أتبعت شيئاً من ذلك غنّة فاجعل مكان النقطة نقطتين (١).

ويُجمع معظم من كتب في تاريخ النحو من القدامى على أسبقية أبي الأسود في بدء وضع النحو العربي مع اختلافهم في أسباب قيامه بذلك وطرقه ، ولكنّ شوقي ضيف في كتابه (المدارس النحوية) أبدى إنكاراً لبعض ما جاء في هذه الروايات خاصة تلك التي توصل وضع النحو إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه عبر أبي الأسود ، وظنّ أنّ ذلك من وضع الشيعة ؛ بل وينكر أحقيّة أبي الأسود في هذه الأسبقية ؛ إذ يقول معقّباً على الروايات السابقة: (وكل ذلك من عبث الرواة الوضّاعين المتزيّدين ، وهو عبث جاء من أنّ أبا الأسود نسب إليه حقاً أنّه وضع العربية ، فظن بعض الرواة أنّه وضع النحو ، وهو إنّما وضع أول نقط يحرر حركات أواخر الكلمات في القرآن الكريم بأمر من زياد بن أبيه أو ابنه عبيد الله) ، ويميل شوقي ضيف إلى جعل عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أوّل نحويّ حقيقيّ (٢).

---

١ / انظر تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم – التنوخي ، ص١٦٧ .

٢ / انظر المدارس النحوية – شوقي ضيف : أحمد شوقي عبد السلام ضيف ، طبعة دار المعارف ، ص١٤ و١٦ و١٨ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولعل قرائن الأشياء لا تسند ما ذهب إليه شوقي ضيف ؛ لأنّ نسبة بداية القول في هذا العلم إلى أبي الأسود ناحية ذهب إليها معظم القدامى ممّن هو أقرب عصراً من زمن أبي الأسود كابن سلام الجمحي وغيره من الثقاة في الرواية ، كما أنّ تحرير نقط الإعراب التي أُثبتت لأبي الأسود من قبل الرواة ومن قبل شوقي ضيف نفسه تُعدّ بداية في هذا العلم ، وربما تكون هي بداية تبعها ما وراءها على يد أبي الأسود وتلاميذه في هذا العلم ؛ لأنّ أي علم من العلوم يبدأ يسيراً متفرّقاً في أفكاره ؛ ثم يشتدّ قوامه عند الباحثين فيه تدريجياً إلى أن يكتمل على أشدّه ، وهذا ما حصل للنحو العربي ؛ يقول أبو الفرج الأصفهاني : (أخبرني عيسى بن الحسين قال : حدّثنا حمّاد ابن إسحاق عن أبيه عن المدائني قال : أمر زياد أبا الأسود الدؤلي أن ينقط المصاحف فنقطها ورسم من النحو رسوماً ، ثم جاء بعده ميمون الأقرن فزاد عليه في حدود العربية ، ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهري ، ثم جاء عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وأبو عمرو بن العلاء فزادا فيه ، ثم جاء الخليل بن أحمد الأزدي وكان صليبة فلحب الطريق ([1]) ، ونجم عليّ ابن حمزة الكسائي مولى بني كاهل من أسد فرسم للكوفيين رسوماً وهم الآن يعملون عليها) ([2]).

ويضاف إلى ذلك أنّ أبا الأسود كان علويّ الرأي يجاهر بتشيّعه وهواه فيمدح الإمام عليّ كرم الله وجهه بالقصائد الحسان ، وعمال البصرة وسواد العراق من قبل معاوية يشقون عليه ويعنتونه حتى بنو قشير الذين جاورهم وصاهرهم بزواجه منهم امرأته أم عوف أجرموا معه ، فسبوه ونالوا من علي كرم الله وجهه إيلاماً له وقذفوه ليلاً بالحجارة ؛ يقول المبرد : (وكان بنو قشير عثمانية ، وكان أبو الأسود نازلاً فيهم ، فكانوا يرمونه بالليل فإذا أصبح شكا ذلك؛

---

١ / صليبة : عربيّ أصيل : خالص النسب ، لحب الطريق : بيّنة .

٢ / الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني ، ج١٢ ص٢١٦ .

فشكا مرة فقالوا : ما نحن نرميك ولكن الله يرميك ، فقال : كذبتم والله لو كان الله يرميني لما أخطأني)(١). وأضجر ذلك كله أبا الأسود وأقضّ مضجعه فانزلق إلى هجاء أمير العراق زياد وابنه عبيد الله ، وهما ما هما، وقد توالت خلافة الأمويين زمناً ليس بالقصير ، وهم منطوون على نار من الحقد للعلويين وأتباعهم ، فكيف يدعون أمراً خطيراً كهذا يمضي على كر الزمان ويخلد في بطون الأسفار وهم أحرص الناس على الغض من شأن العلويين وشيعتهم ، ولا سيما في مثل هذا الشأن ذي البال والأثر الخالد (٢).

أمّا أسباب وضع النحو وظهوره فلعل دافعها الأول وباعثها انتشار اللحن على الألسنة بعد اتساع رقعة الدولة الإسلامية وتمددها ومخالطة العرب غيرهم ؛ وقد بدأ هذا الوباء قليلاً نادراً في صدر الإسلام ثم أخذ يتسع وينتشر كلما تقدّمنا منحدرين مع الزمن ، وقد خُشي على القرآن الكريم والعربيّة منه (٣).

وتُروى عدة حوادث لظهور اللحن منذ صدر الإسلام وحتى الشروع في وضع هذا العلم وظهور الضوابط التي يُعرف بها الصواب من الخطأ ؛ فقد رُوي أنّ النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يلحن في كلامه فقال : (أرشدوا أخاكم فإنّه قد ضلّ) (٤).

وفي عهد الخلفاء الراشدين ظهرت حوادث عدة للحن منها ما رُوي من أنّ أعرابيّاً قدم في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؛ فقال : من

---

١ / الكامل في اللغة والأدب – المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار الفكر العربي ، ط٣ ، القاهرة – ١٩٩٧م ، ج٣ ص١٥٢ .

٢ / انظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة – الشيخ محمد الطنطاوي ، تحقيق : أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل ، طبعة مكتبة إحياء التراث الإسلامي ، ط١ ، ٢٠٠٥م ، ص٢٨ .

٣ / انظر من تاريخ النحو العربي – سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني ، ص٨ .

٤ / انظر الخصائص – ابن جنّي : أبو الفتح عثمان بن جني ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤ ، ج٢ ص١٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يُقرئني شيئاً ممّا أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ، فأقرأه رجلٌ سورة براءة فقال : (إنّ الله بريءٌ من المشركين ورسولِه) بالجرّ؛ فقال الأعرابيّ : أو قد برئ الله من رسوله ! إن يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه ! ، فبلغ عمر رضي الله عنه مقالة الأعرابيّ ؛ فدعاه فقال : يا أعرابيّ أتبرأ من رسول الله ! ، فقال : يا أمير المؤمنين إنّي قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن ؛ فسألت : من يُقرئني؟ ، فأقرأني هذا سورة براءة ، فقال : (إنّ الله بريءٌ من المشركين ورسولِه) ، فقلت: أو قد برئ الله تعالى من رسوله ! إنّ يكن برئ من رسوله ، فأنا أبرأ منه . فقال له عمر رضي الله عنه : ليس هكذا يا أعرابي ، فقال : كيف هي يا أمير المؤمنين ؟ فقال : (إنّ الله بريءٌ من المشركين ورسولُهُ) ، فقال الأعرابي : وأنا والله أبرأ ممّن برئ الله ورسوله منه . فأمر عمر رضي الله عنه ألّا يُقرئ القرآن إلا عالمٌ باللغة (١).

ثم شاع اللحن في العصر الأمويّ حتى تطرق إلى البلغاء من الخلفاء والأمراء كعبد الملك والحجّاج ، والناس يومئذٍ تتعاير به ، وكان ممّا يُسقط الرجل في المجتمع أن يلحن ، حتى قال عبد الملك – وقد قيل له : أسرع إليك الشيب – : شيّبتني ارتقاء المنابر مخافة اللحن . وكان يقول : إنّ الرجل يسألني الحاجة فتستجيب نفسي له بها ، فإذا لحن انصرفت نفسي عنها . والحجاج مع أنّه من الخطباء البلغاء وكان في طبعه تقزز من اللحن أن يقع منه أو من غيره ، فإذا وقع منه حرص على ستره وإبعاد من اطلع عليه منه ، وذكروا أنّه سأل يحيى بن يعمر الليثي : أتسمعني ألحن على المنبر؟ ؛ فقال يحيى : الأمير أفصح الناس إلّا أنّه لم يكن يروي الشعر ، قال: أتسمعني ألحن حرفاً ؟ ؛ قال : نعم ؛ في آي

---

١ / انظر نزهة الألباء في طبقات الأدباء – ابن الأنباري : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، طبعة مكتبة المنار ، ط٣ ، الزرقاء – الأردن – ١٩٨٥ م ، ص١٩ – ٢٠ .

القرآن ؛ قال : فذاك أشنع ؛ وما هو؟ ، قال تقول :(قُلْ إِنْ كَانَ آَبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ...) التوبة : ٢٤ ، تقرؤها "أحبُّ" بالرفع (١) .

وهؤلاء أصابهم قليلٌ من اللحن لبعدهم عن قومهم في الجزيرة العربية مع أنّهم نشأوا فيها وترعرعوا واكتهلوا ؛ فلمّا كان من بعدهم عظم فشو اللحن فيهم حتى كان من أعظم المصائب في نفس عبد الملك بن مروان أنّ ابنه الوليد لحّانة، وأنّه أخذه بتعلّم العربية فلم يفلح (٢).

وتقتضي طبائع الأشياء أن يكون الشيء غير المستحبّ نادراً وقليل الحدوث عند القادة والأمراء ولكنّه قد يكثر بين العامة ، وهذا ما ينطبق على اللحن فهو – على ما يبدو – منتشرٌ بين العوام ؛ فالروايات تدلّ على ذلك ؛ فقد رُوي عن عمر بن عبد العزيز قوله : (إنّ الرجل ليكلمني في الحاجة يستوجبها فيلحن فأردّه عنها ، وكأنّي أقضم حبّ الرمّان الحامض ؛ لبغضي استماع اللحن ، ويكلمني آخر في الحاجة لا يستوجبها فيُعرب فأُجيبه إليها التذاذاً لما أسمع من كلامه) . ورُوي عنه أيضاً قوله : (أكاد أضرس إذا سمعت اللحن) (٣).

وإذا وصلنا إلى العصر العباسي وجدنا أنّ اللحن قد بلغ مبلغاً عظيماً عند الناس في ذاك الزمن ؛ إذ ازدادت مخالطة العرب للشعوب الأعجمية التي أرادت أن تتكلّم العربية فلم تستطع المحافظة على سلامتها من الخطأ في اللفظ والحركات(٤) . يقول الجاحظ : (ثم اعلم أن أقبح اللحن لحن أصحاب التقعير

١/ انظر من تاريخ النحو العربي – سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني ، ص١١ – ١٢ .
٢ / انظر المرجع السابق ، ص١٣ .
٣ / انظر الأضداد – ابن الأنباري : محمد بن القاسم ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة المكتبة العصرية ، ط١ ، صيدا – بيروت – ١٩٨٧م ، ص٢٤٤ – ٢٤٥ .
٤ / انظر البيان والتبيين – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، طبعة دار ومكتبة الهلال ، بيروت – ١٤٢٣ هـ ، ج١ ص١٤ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والتقعيب (١) ، والتشديق والتمطيط والجهورة والتفخيم . وأقبح من ذلك لحن الأعاريب النازلين على طرق السابلة ، وبقرب مجامع الأسواق) (٢). ويضيف الجاحظ : (وزعم أبو العاصي أنّه لم ير قروياً قط لا يلحن في حديثه ، وفيما يجري بينه وبين الناس ، إلّا ما تفقده من أبي زيد النحوي ، ومن أبي سعيد المعلم) (٣).

وهكذا انتشر اللحن بين العامة والخاصة من الناس ؛ ممّا نبّه القائمين على الأمر والمهتمين باللغة إلى ضرورة وضع رسوم يعرف بها الصواب من الخطأ ؛ خاصة وأنّ هذا الخطر أخذ يداهم القرآن العظيم وقراءته .

وقد انضمت لهذا السبب الرئيس السابق في نشأة النحو أسباب أخرى جانبية منها : اعتزاز العرب بلغتهم اعتزازاً شديداً وخشيتهم عليها من الفساد بممازجة الأعاجم ممّا قد يؤدي إلى ذوبانها في اللغات الأجنبية ، ويُضاف إلى ذلك سبب آخر اجتماعيّ وهو : أنّ الشعوب المستعربة الداخلة في الإسلام أحسّت بالحاجة الشديدة لمن يرسم أوضاع العربية في إعرابها وتصريفها حتى تتمثلها تمثلاً مستقيماً وتتقن النطق بأساليبها نطقاً سليماً . وقد دفع كل هذه الأسباب وارتقى بها إلى إمكانية ظهور النحو العربي واقعاً عاملٌ جانبيٌّ آخر وهو رقي العقل العربي ونمو طاقته الذهنية نمواً أعدّه للنهوض برصد الظواهر اللغوية وتسجيل الرسوم النحوية تسجيلاً تطّرد فيه القواعد وتنتظم الأقيسة انتظاماً يهيأ لنشوء علم النحو ووضع قوانينه الجامعة المشتقة من الاستقصاء الدقيق للعبارات والتراكيب الفصيحة ، ومن المعرفة التامة بخواصها وأوضاعها الإعرابية (٤).

---

١ / التقعير والتقعيب : التشدّق في الكلام .
٢ / البيان والتبيين – الجاحظ ، ج١ ص١٣٦ .
٣ / المصدر السابق ، ج١ ص١٤٩ .
٤ / انظر المدارس النحوية – شوقي ضيف ، ص١٢ – ١٣ .

ثانياً : المدارس النحويّة ومذاهبها ونهجها :

أ/ المدرسة البصريّة :

هي أوّل المدارس النحوية على الإطلاق ، وهي التي أقامت أركان النحو ورفعت عماده ووضعت مقاييسه وعلله . وقد تعهد البصريون هذا العلم بالرعاية قرابة قرن من الزمان كانت فيه الكوفة منصرفة عنه بما شغلها من رواية الأشعار والأخبار والميل إلى التندر بالطرائف من الملح والنوادر ، ثم تكاتف الفريقان على استكمال قواعده ، واستحثهما التنافس الذي جدّ بينهما واستعرت ناره ردحاً من الدهر ينيف على مائة سنة خرج بعدها هذا الفن تام الأصول كامل العناصر (١).

وقد رأينا سابقاً كيف أنّ أبا الأسود الدؤلي وضع اللبنات الأولى في هذا العلم ، ثم تلت بعد ذلك أجيال البصريين تباعاً ؛ فقد اشتغلت فيه بعد أبي الأسود طبقتان من البصريين حتى تأصّلت أصول كثيرة وعرفت بعض أبوابه ؛ فالطبقة الأولى التي أخذت عن أبي الأسود استمرت في تثمير ما تلقته عنه ، ووُفّقت إلى استنباط كثيرٍ من أحكامه ، وقامت بقسط في نشره بين الناس ، وكان من أفذاذ هذه الطبقة عنبسة بن معدان الفيل ونصر بن عاصم الليثي وعبد الرحمن بن هرمز ويحيى بن يعمر العدواني ، ولم يدرك أحد من رجال هذه الطبقة الدولة العباسية (٢).

أمّا الطبقة الثانية فقد كانت أكثر عدداً من سابقتها ، وكانت أوفر منها حظاً في هذا الشأن ؛ فازدادت المباحث لديها ، وأضافت كثيرا من القواعد ، ونشأت حركة النقاش بينها فجدت في تتبع النصوص واستخراج الضوابط ، واستطاعت التصنيف فدونت فيه بعض كتب مفيدة ، وكان من رجال هذه الطبقة عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي وأبو عمرو بن العلاء (٣).

---

١ / انظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة – الشيخ محمد الطنطاوي ، ص٣١ .
٢ / انظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة – الشيخ محمد الطنطا وي ، ص٣٢ .
٣ / انظر المرجع السابق ، ص٣٣ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتلا هذه الطبقة الثانية من البصريين الجيل الذي تكاملت على يديه أركان النحو العربي في القياس والتعليل والضبط وغير ذلك ؛ والمعني بذلك أفذاذ أئمة البصريين الخليل بن أحمد وسيبويه وأبي زيد الأنصاري ويونس بن حبيب ؛ أمّا الخليل فهو يُعدّ إماماً في هذا العلم وفي غيره ؛ فقد كان عقله من العقول الخصبة النادرة ، فهو لا يلم بعلم حتى يلتهمه التهاماً ويستوعبه ويتمثله وينفذ منه إلى ما يفتح له أبوابه الموصدة ، وحقاً ما قاله ابن المقفع فيه : من أنّ عقله كان أكثر من علمه ، وهو عقل جعله يتصل بكل علم ويحوز لنفسه منه كل ما يبتغي من ثراء في التفكير ودقة في الاستنباط ، دقة تذهل كل من يقف على وضعه لعروض الشعر ورفعه لصرح النحو ورسمه المنهج الذي ألف عليه معجم العين أول معجم في العربية (١) . وهو أستاذ سيبويه وعامة الحكاية في كتابه عنه ؛ فكلّما قال سيبويه : سألته أو قال من غير أن يذكر المسؤول والقائل يُعلم أنّه يعني الخليل(٢).

أمّا سيبويه فهو تلميذ الخليل الذي لازمه ودوّن عنه كلّ ما قاله تقريباً ، ومع ذلك فإنّه تتلمذ على غيره كعيسى بن عمر الثقفي ، ويونس وغيرهم ، ووضع كتابه المعروف بالكتاب ، الذي طار طائره في الآفاق وملأ الدنيا وشغل الناس وهو المصدر الرئيس والأساس الذي بُنيت عليه كل المصادر اللاحقة (٣).

ثم تتابعت بعد ذلك أجيال العلماء البصريين الذين صنفوا المصنفات على مرّ العصور ؛ ففي من أتى من بعدُ الأخفش الأوسط الذي يُروى أنّه أوّل من فتح باب

---

١ / انظر المدارس النحوية – شوقي ضيف ، ص٣٠ – ٣١ .

٢ / أخبار النحويين البصريين ، السيرافي : أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان ، تحقيق: طه محمد الزيني ، ومحمد عبد المنعم خفاجي ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٦٦م ، ص٣٢ .

٣ / انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة – الفيروزآبادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، طبعة دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٠م ، ص٢٢٢ .

الاختلاف على سيبويه وأستاذه الخليل ، وهناك قطرب محمد بن المستنير ، ثم يأتي من بعدهم أبو عمر الجرمي والمازني ، ثم المبرد صاحب كتابي الكامل والمقتضب وأصحابه أبو إسحاق الزجاج وأبو بكر بن السراج ، ويتبعهم من بعدُ أبو سعيد السيرافي (١).

وقد قام نهج البصريين على أسس راسخة ؛ إذ طلبوا في قواعدهم اطرادها، وأن تقوم على الاستقراء الدقيق ، وأن يُكفل لها التعليل وأن تصبح كل قاعدة أصلاً مضبوطا تقاس عليه الجزئيات قياساً دقيقاً ؛ أما من حيث الاطراد في القواعد فقد تشددوا فيه تشدداً جعلهم يطرحون الشاذ ولا يعولون عليه في قليل أو كثير، وكلما اصطدموا به خطئوه أو أولوه ؛ وأمّا من حيث الاستقراء فقد اشترطوا صحة المادة التي يشتقون منها قواعدهم ، ومن أجل ذلك رحلوا إلى أعماق نجد وبوادي الحجاز وتهامة يجمعون تلك المادة من ينابيعها الصافية التي لم تفسدها الحضارة ، وبعبارة أخرى : رحلوا إلى القبائل المتبدية المحتفظة بملكة اللغة وسليقتها الصحيحة ، وهي قبائل تميم وقيس وأسد وطي وهذيل وبعض عشائر كنانة . وكان القرآن الكريم وقراءاته مدداً لا ينضب لقواعدهم ، وكانوا لا يحتجون بالحديث النبوي ولا يتخذونه إماماً لشواهدهم وأمثلتهم ؛ لأنّه روي بالمعنى إذ لم يكتب ولم يدون إلّا في المائة الثانية للهجرة ، ودخلت في روايته كثرة من الأعاجم (٢).

وأما من حيث القياس والتعليل فقد توسعوا فيهما ؛ إذ طلبوا لكل قاعدة علّة، ولم يكتفوا بالعلة التي هي مدار الحكم فقد التمسوا عِللاً وراءها . وقانون القياس عام ، وظلاله مهيمنة على كل القواعد إلى أقصى حدٍ ؛ بحيث يصبح ما يخرج عليها شاذاً ، وبحيث تفتح الأبواب على مصاريعها ليقاس على القاعدة ما لم يسمع عن العرب ويحمل عليها حملاً ، فهي المعيار المحكم السديد (٣).

---

١ / انظر المصدر السابق ، ص٩ .
٢ / انظر المدارس النحوية – شوقي ضيف ، ص١٨ – ١٩ .
٣ / انظر المرجع السابق ، ص١٩ – ٢٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ب/ المدرسة الكوفيّة :

وهي المدرسة الثانية في النشأة ، وقد انشغل علماء الكوفة بادئ الأمر بالفقه ووضع أصوله ومقاييسه ، وعنوا بالقراءات ورواياتها حتى اشتهر منهم عاصم وحمزة والكسائي ، واهتموا أيضا برواية الأشعار والأخبار ، فتركوا المجال لعلماء البصرة الذين حازوا فضل السبق في علم النحو والصرف ([1]).

وتذكر المصادر أنّ أوّل نحويّ كوفي هو أبو جعفر الرؤاسي الذي طلب العلم في البصرة على أئمتها ، فقرأ على أبي عمرو بن العلاء وعلى عيسى بن عمر الثقفي ، ويقال أنّه كلّما وردت في كتاب سيبويه عبارة (قال الكوفي كذا) فإنما عنى الرؤاسي ، ويتبعه في الذكر في الوقت نفسه عمه معاذ بن مسلم الهراء الذي عني بالصرف ومسائله خاصة ، وتبعه في هذه العناية من قرأ عليه من الكوفيين ([2]).

ولكنّ أهم علمين رفعا من شأن المذهب الكوفي النحوي ووضّحا نهجه هما الكسائي والفرّاء ، فأمّا الكسائي فهو فارسي الأصل نشأ بالكوفة وتعلم النحو على كبر ، فأخذ عن معاذ الهراء ما عنده ثم توجه تلقاء البصرة فتلقى عن عيسى بن عمر والخليل وغيرهما ، ولما أعجب بالخليل قال له : من أين أخذت علمك هذا ؟ قال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فجاب هذه البوادي وقضى وطره ، ثم انحدر إلى البصرة فألفى الخليل قضى نحبه ، وخلفه يونس فجلس في حلقته ، ثم عاد إلى الكوفة ينشر علمه ، والكوفة متعطشة إلى نحو يضارع نحو البصرة وفي الكسائي نشاط في الدراسة والتصنيف فتقوى المذهب الكوفي ، وبدأ يناهض النهج البصري ، وعلى يد الكسائي تكاثرت الفوارق بين المذهبين لاختلاف الاتجاهين ([3]).

---

١ / انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة – الفيروزآبادي ، ص١٠ .
٢ / انظر من تاريخ النحو العربي – سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني ، ص٤١ – ٤٢ .
٣ / انظر نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة – الشيخ محمد الطنطاوي ، ص٩٤ – ٩٥ .

وأمّا الفراء فهو تلميذ الكسائي الذي أخذ عنه كما أخذ عن غيره من العلماء كيونس بن حبيب ، وكان هو والأحمر أشهر أصحاب الكسائي ، وكانا أعلم الكوفيين بالنحو من بعده (١) ، وقد قوي به شأن المذهب الكوفي ، و يُقال أنّه كان زائد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه ، وكان يتفلسف فِي تصانيفه ، ويسلك ألفاظ الفلاسفة (٢) .

ثم أتى من بعد هؤلاء كوفيون كثر لعلّ أشهرهم ثعلب أحمد بن يحيى الذي أخذ عن الفراء كل ما كتب ، وأخذ عن الأخفش الأوسط ، حتى تبحر في مذهبي البصرة والكوفة. واشتهر بعد وفاته من تلاميذه كثيرون ، من أمثال أبي موسى سليمان بن محمد المعروف بالحامض الذي جلس بعد موت أستاذه مجلسه ، وأبي عمر الزاهد وأبي بكر بن الأنباري ، ثم جاء أحمد بن فارس الذي مد ظلال المدرسة الكوفية إلى حين إتيان ابن آجروم الصنهاجي الذي كان آخر النحاة الذين استظهروا آراء المدرسة الكوفية (٣).

ويتسم المذهب الكوفي النحويّ بسمات تميّزه عن نهج البصريين أهمّها جانب الاتساع في الرواية بحيث يؤخذ من العرب جميعاً بدويهم وحضريهم ، فتفتح جميع الدروب والمسالك للأشعار واللغات الشاذة ، كما يتميّز بالاتساع في القياس بحيث يقاس على الشاذ والنادر دون تقيّد بندرته وشذوذه ، إلى جانب ذلك نجد بعض المخالفة في بعض المصطلحات النحوية وما يتصل بها من العوامل لما أرساه نحاة البصرة ؛ ومن ذلك اصطلاح "الخلاف" وهو عامل معنوي كانوا

---

١ / انظر معجم الأدباء – ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، تحقيق : إحسان عباس ، طبعة دار الغرب الإسلامي، ط١ ، بيروت – ١٩٩٣ م ، ج٦ص٢٨١٣ .

٢ / انظر بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – السيوطي ، ج٢ص٣٣٣ .

٣ / انظر البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة – الفيروزآبادي ، ص١٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يجعلونه علة النصب في الظرف إذا وقع خبراً في مثل "محمد أمامك" ، أمّا البصريون فيجعلون الظرف متعلقاً بمحذوف خبر للمبتدأ السابق له ، ومن ذلك اصطلاح الصرف الذي جعله الفراء علة لنصب المفعول معه في حين ذهب جمهور البصريين إلى أنّه منصوب بالفعل الذي قبله بتوسط الواو ، ومن ذلك اصطلاح الفعل الدائم ويقصدون به اسم الفاعل والمكني والكناية ويقصدون به الضمير ، ويطلقون على البدل مصطلح الترجمة وعلى التمييز التفسير وعلى الصفة النعت وعلى العطف بالحروف عطف النسق وغير ذلك (١).

ولكن الناظر في مصطلحات النحو يلحظ أنّ اصطلاحات الكوفيين لم تجد السبيل للشهرة والانتشار في النحو العربي ما عدا مصطلحي : النعت وعطف النسق ، وظلت المصطلحات البصرية هي السادة .

ويوسم المذهب الكوفي بأنّ فيه مرونة في القياس وتركيب الجملة ؛ فهم مثلاً يُجوّزون صياغة "أفعل التفضيل" من البياض والسواد ، والفصل بين المضاف والمضاف إليه بفاصل ولو لم يكن ظرفاً أو جاراً ومجروراً ، ويجوز عندهم توكيد النكرة إذا دلت على زمان معيّن ، ويُبيحون إضافة الشيء إلى نفسه إن اختلف اللفظ مثل "حقّ اليقين" و"حبّ الحصيد" ، وغير ذلك (٢).

ومع هذا فينبغي أن يعلم أنّ الاختلاف بين المدرستين لم يكن في الأصول والثوابت وإنّما كان في جوانب فرعية كالعوامل التقديرية التي علّلوا بها الإعراب مع اتفاقهم في حكم الإعراب نفسه . وقد نجد إماماً في هذا الفريق يساند رأي المدرسة الأخرى على نسق ما رُوي من مساندة الكسائي لآراء البصريين في بعض المسائل ، ومساندة المبرد البصري لآراء الكوفيين في مسائل أخرى (٣).

---

١ / انظر المدارس النحوية – شوقي ضيف ، ص١٥٨ – ١٥٩ ، وص١٦٥ – ١٦٧ .
٢ / انظر تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب – د. محمد المختار ولد أبّاه ، طبعة دار الكتب العلمية ، ط٢ ، بيروت – ٢٠٠٨م ، ص١٠١ .
٣ / انظر تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب – د. محمد المختار ولد أبّاه ، ص١٠٠ – ١٠١ .

وبعد أن بانت آراء ومذاهب الفريقين البصري والكوفي في مسائل النحو والصرف واتضحت فُتحت الأبواب على مصاريعها للعلماء التابعين للاختيار من نهج المذهبين ما يرونه صواباً .

وظهرت في الأمصار الإسلامية المختلفة في العصور اللاحقة أجيالٌ من العلماء أخذت تتعمّق وتمحّص في دراسات النحو والصرف مستهدية بآراء البصريين والكوفيين فأخرجت المصنّفات المتعدّدة ، وقد كانوا يميلون إلى ما يرونه مناسباً من رأي الفريقين ؛ لذلك عُرف نهجهم بنهج الانتخاب ، ومع ذلك قد ينفذ العالم من هؤلاء في بعض الأحيان إلى آراءٍ خاصة به ، وتدور في كتب النحو أسماء ثلاثة مذاهب من هذا النوع ؛ وهي : المدرسة البغدادية والمدرسة الأندلسية والمدرسة المصرية .

ولعل من نافلة القول أن تُعتبر التسميات الواردة لمدارس الانتخاب الثلاث : البغدادية والأندلسيّة والمصرية تسميات مناطق أكثر من كونها تسميات تحمل رؤى نحويّة محددّة وموحّدة يُوحي بها الاسم على نحو ما يُوحي اسم المدرستين البصرية والكوفية ؛ بل أنّ هذه المدارس تكاد تتوافق في نهج واحدٍ وهو منهج الاختيار للمناسب من آراء المدرستين الأوليين مع الاجتهاد في الخروج بآراء جديدة .

ويلزم أن نشير هنا إلى أنّ عالمنا الجليل يونس بن حبيب كان ضمن الجيل الذي تكاملت على يديه – تقريباً – أركان النحو العربيّ في قياسه وضبطه وتعليله وغير ذلك ، والمعني بهذا جيل الخليل وسيبويه ؛ فقد قارب في السنّ الأوّل وإن لم يبلغ ما بلغه من أثرٍ في هذا العلم حسب ما تشير المصادر ، وتتلمذ على يديه الثاني ، وسوف يأتي التفصيل في هذا وفي غيره من خلال تتبع سيرته في السطور التي تلي .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثالثاً : سيرة يونس بن حبيب وأخباره :

هو أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب النحويّ ؛ وهو مولى ضبّة ، وقيل هو مولى بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة ، وقيل مولى بلال بن هرمي من بني ضبيعة بن بجالة ، وهو من أهل جَبُّل . وقد ولد سنة تسعين للهجرة ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة ، وكان يقول : أذكر موت الحجاج ، وقيل مولده سنة ثمانين وأنه رأى الحجاج وعاش مائة سنة وسنتين ، وقيل عاش ثمانياً وتسعين سنة وقيل ثمانياً وثمانين (١).

ومهما اختلفت المصادر في تحديد تاريخ مولده إلّا أنّها تتفق على أنّه كان من المعمرين وأنّه عاش بعد سيبويه زماناً .

والمشهور عن يونس أنّه لم يتزوّج ولم يتّسر ، ولم تكن له همّة إلا طلب العلم ومحادثة الرجال (٢) . وقد أخذ العلم من مجموعة من أكابر العلماء يأتي على رأسهم أبو عمرو بن العلاء وحمّاد ابن سلمة ، ويقال أنّه لقي عبد الله بن أبي إسحاق (٣)، فضلاً عن أخذه من عيسى بن عمر ، وأبي الخطاب الأخفش (٤).

ويبدو أنّ أخذه من أبي عمرو كان عظيماً ومؤثّراً ؛ إذ نجد كثيراً من الروايات في كتاب سيبويه عن أبي عمرو تأتي عن طريق يونس ؛ ويظهر أنّ عالمنا الجليل كان شديد الصلة بأبي عمرو ويتضح ذلك حين نسمع قول ابن

١/ انظر وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ، تحقيق : إحسان عباس ، طبعة دار صادر – بيروت ، ج٧ ص١٤٤ .

٢ / انظر إنباه الرواه – القفطي ، ج٤ ص٧٧ .

٣ / انظر سير أعلام النبلاء – الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ، طبعة دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م ، ج٧ ص٢٣٩ .

٤ / انظر تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم – التنوخي ، ص١٢٠ .

سلام: "ما كنت أنا ولا أمثالي نسأل أبا عمرو بن العلاء عن شيءٍ ، إنَّما كان يسأله يونس ، ونسمع" (١).

وقد رحل يونس إلى البادية وسمع عن العرب كثيراً ، ممّا جعله راوياً كبيراً من رواة اللغة والغريب ، ويُنسب إليه تصنيف كتابٍ في اللغات ؛ ولذلك كان تردد اسمه في كتاب سيبويه في شواهد اللغة أكثر بكثير من تردده في الآراء النحوية ؛ فسيبويه –على ما يبدو– لم يكن يعجب بتلك الآراء ، وكان الخليل قد استولى عليه ، فلم يكد يترك فيه بقية لغيره وخاصة في قواعد النحو وأقيسته (٢) .

ويظهر أنّ يونساً كان ذا ذاكرة متّقدة ؛ فقد قال أبو الخطاب زياد بن يحيى عنه : مثل يونس كمثل كوز ضيّق الرأس ، لا يدخله شيءٌ إلا بعسر ، فإذا دخله لم يخرج منه "يعنى لا ينسى" (٣) .

وكانت حلقته بالبصرة مقصد طلبة العربية وفصحاء الأعراب والبادية ، وكانت له مذاهب وأقيسة تفرد بها (٤) ، وهذه الناحية محط نظر الدراسة ، وسوف يكون الاعتماد فيها على ما نقله سيبويه في كتابه .

وقد أخذ عنه النحو مجموعة من العلماء يأتي على رأسهم سيبويه الذي روى عنه في كتابه ، وأخذ عنه أيضاً أبو الحسن الكسائي وأبو زكريا الفراء وأبو عبيدة معمر بن المثنى وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم من الأئمة ؛ قال أبو عبيدة : اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كلّ يوم ألواحي من حفظه ؛ وقال أبو زيد الانصاري : جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة (٥) .

---

١ / انظر المصدر السابق ، ص١٢٣ .
٢ / انظر المدارس النحويّة – شوقي ضيف ، ص٢٨ .
٣ / انظر إنباه الرواة – القفطي ، ج٤ ص٧٤ .
٤ / انظر نزهة الألباء – ابن الأنباري ، ص٤٧ .
٥ / انظر معجم الأدباء – ياقوت الحموي ، ج٦ ص٢٨٥٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وكان يونس إلى جانب إمامته في النحو عالماً بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه ، عارفاً بطبقات شعراء العرب ، حافظاً لأشعارهم ، يُرجع إليه في ذلك كله . حدّث محمد بن سلام فقال : "سألت يونس النحوي عن أشعر الناس فقال : لا أومىء إلى رجل بعينه ولكني أقول امرؤ القيس إذا غضب ، والنابغة إذا رهب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب" . وكان يفضل الأخطل على جرير والفرزدق وقد انفرد بذلك (١).

وتُنسب إلى يونس عددٌ من المصنفات منها : كتاب "معاني القرآن" ، وكتاب "اللّغات" ، وكتاب "النوادر الكبير" ، وكتاب "الأمثال" ، وكتاب "النّوادر الصغير" (٢). ولكن يظهر أنّ هذه المصنّفات لم تر النور أو السبيل إلى النشر .

وعلى الرغم من عدم وجود مُصَنفٍ بين أيدينا ينسب لعالمنا الجليل إلّا أنّ آراءه النحويّة تناثرت في الكتب خاصة كتاب سيبويه ؛ إذ يُعدّ يونس الرجل الثاني من حيث عدد مرات النقل عنه في الكتاب بعد الخليل ، يليه في ذلك الأخفش الكبير ثم أبي عمرو بن العلاء ثم عيسى بن عمر فابن أبي إسحاق ؛ وتزيد عدد مرات النقل عن يونس في كتاب سيبويه عن المائتين (٣) .

وسوف تتناول السطور القادمة آراءه النحويّة والنقل عنه حسب ما أورده سيبويه في كتابه ؛ ولكن يلزم التنويه إلى أنّ الرجل عاش بعد سيبويه زماناً يُقال أنّه امتدّ نحو أربع وعشرين سنة (٤) ؛ لذلك من المرجّح أن تكون له آراءٌ نحويّة أخرى غير هذه التي أوردها صاحب الكتاب .

---

١ / انظر المصدر السابق ، ج٦ ص٢٨٥١ .

٢ / انظر إنباه الرواة – القفطي ، ج٤ ص٧٧ .

٣ / انظر المدارس النحويّة – شوقي ضيف ، ص٨١ .

٤ / انظر تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم – التنوخي ، ص١٢٣ .

آراء يونس بن حبيب ورواياته في كتاب سيبويه :

من خلال التتبع والتمحيص في آراء هذا العالم الجليل ورواياته في كتاب سيبويه اتضح أنّ ما رُوي عنه في إمام الكتب النحويّة يمكن تصنيفه – حسب ما أرى – إلى خمسة أصنافٍ ؛ وهي : مسائل نحويّة تحمل صفة الرأي المنفرد ؛ ومسائل نحويّة تحمل رأياً تبعه الكوفيين لاحقاً ، ومسائل نحويّة تجاري قول جمهور من النحويين ، وروايات لآراء نحويّة نقلها عالمنا الجليل عن أبي عمرو، وروايات للشواهد النحويّة والغريب وهي الأكثر عدداً في هذه التصنيفات الخمس.

أوّلاً : المسائل النحويّة التي تحمل صفة الرأي المنفرد :

نُسب إلى يونس بن حبيب – في كتاب سيبويه – عددٌ من الآراء النحويّة التي تحمل صفة الرأي المنفرد أو المخالف لرأي الخليل وسيبويه أو جمهور النحويين ؛ وهي محصورة في إحدى وعشرين مسألة ؛ إضافةً إلى رأي خاص به في مسألتين أخريين قال بهما المذهب الكوفي لاحقاً سوف يتمّ إيرادهما في موضعهما المخصص .

أمّا المسائل الإحدى والعشرين التي تحمل صفة الرأي المنفرد لعالمنا الجليل ففيها : جواز إضمار العوامل في غير المواضع المعهودة لذلك ؛ وجعله "لبيك" اسماً مفرداً ؛ وجعله "وحدَه" ونحوها ظرفاً ؛ وتجويزه تعريف الحال ؛ وجعله "العبيد" مفعول له ؛ وتجويزه الفصل بين "كم الخبرية" والمضاف إليها ؛ وقوله بجواز إتيان نون التوكيد بعد أسلوب العرض ، وتجويزه إبدال نون التوكيد الخفيفة ياءً أو واواً مع نحو : اخشين ، واخشون ؛ وغير ذلك (١).

---

١ / هنالك مواضع أخرى تحمل صفة الرأي المنفرد ليونس غير ما ذكرت آثرت عدم تفصيل الحديث فيها خشية الإطالة ؛ نحو : رأيه في تعليق غير أفعال القلوب عن العمل ، وتجويزه تسكين الميم إن وليها ضمير نصب ، ومسألة "جواري" ومسألة "قاضي" اسما لمؤنث ، وجعله نصب "رجلاً" للضرورة في قول الشاعر : "ألا رجلاً جزاه الله خيراً" وغيرها .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ففي مسألة تجويز يونس إضمار العوامل في غير المواضع المعهودة لذلك قال سيبويه في كتابه : " وزعم يونسُ أنّ من العرب من يقول : إن لا صالحٍ فطالحٍ ، على : إن لا أكنْ مررتُ بصالحٍ فبطالحٍ وهذا قبيح ضعيف " (١) ؛ وهذا الذي قال به يونس يُوصف بالضعف لأنّ فيه إضمار لعوامل لا يجوز إضمارها في مثل هذه المواضع ؛ يقول السيرافي : " فقبّح سيبويه قول يونس من جهتين : إحداهما : أنّك تحتاج إلى إضمار أشياء ؛ وحكم الإضمار أن يكون شيئاً واحداً ؛ وذلك أنّك إذا قلت : مررت برجلٍ إن لا صالحٍ فطالحٍ تقديره : إن لا أكن مررت بصالحٍ ؛ فتضمر : "أكن" و"مررت" و"الباء" ؛ ولا يشبه هذا إن لا صالحاً ؛ لأنّك إذا قلت : إن لا صالحاً تقديره : إن لا يكن صالحاً . والجهة الأخرى : أنّ حرف الجرّ يقبُح إضماره إلّا في مواضع قد جُعل منه عِوض ؛ كقولهم :

وبلدٍ عاميةٍ أعماؤه *** كأنّ لون أرضه سماؤه

في معنى : ورب بلدٍ (٢).

والحق أنّ النحويين جوّزوا إضمار بعض العوامل في مواضع معينة منها : الفعل المدلول عليه بعد "إذا" – على رأي البصريين – في نحو قوله تعالى : "إذا السماء انشقت" ؛ فالسماء عندهم فاعل لفعل محذوف تقديره : انشقت ، وكذلك حرف الجر في نحو : بكم درهمٍ اشتريت هذا – على رأي سيبويه والخليل – إذ التقدير عندهما : بكم من درهمٍ اشتريت هذا ، و"رب" المدلول عليها بالواو والفاء وبل . وكذا بعض الأفعال بعد "إنْ" الشرطية في نحو قول الشاعر :

قد قيل ما قيل إن صدقا وإن كذبا *** فما اعتذارك من قول إذا قيلا؟

والتقدير : إن كان المقول صدقاً وإن كان كذباً (٣). وقول الآخر :

---

١ / الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٢٦٢ .
٢ / شرح كتاب سيبويه – السيرافي ، ج٢ ص١٦٠ – ١٦١ .
٣ / انظر شرح ابن عقيل – ابن عقيل : عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار التراث – القاهرة ، ط٢٠ ، ١٩٨٠م ، ج١ ص ٢٩٤ – ٢٩٥ .

فطلقها فلست لها بكفء *** وإلا يعل مفرقك الحسام

والتقدير : إن لا تطلقها يعل مفرقك الحسام (١).

ولم يُعهد عند النحويين إضمار أكثر من عاملٍ في آن واحدٍ وهذا ما يُضعف قول يونس السابق .

وممّا انفرد به يونس أيضاً جعله "لبيك" اسماً مفرداً ؛ ورد في الكتاب : " وزعم يونس أنّ لَبَّيْك اسمٌ واحدٌ ولكنَّه جاء على هذا اللفظ فى الإضافة ، كقولك : عليك" (٢). وهذا الرأي مخالف لمذهب جمهور النحويين الذين يعدّون "لبيك" اسماً مثنى وغرض التثنية فيه التكثير ولا يستعمل إلّا مضافاً (٣) . وقد رد سيبويه قول يونس بأنّه لو كانت الياء في "لبّيك" بمنزلة ياء "عليك" و"إليك" لوجب أنّك متى أضفتَها إلى ظاهرٍ ، أقررت ألفها بحالها كما أنّك إذا أضفت "على" و"إلى" إلى الظاهر أقررت ألفها ، وكنت تقول : هذا لبَّى زيدٍ ، ولبَّى جعفرٍ ، كما تقول : على زيدٍ ، وإلى عمرو ، وأنشد :

دَعَوْتُ لِمَا نَابَنِي مِسْوَرًا *** فَلَبَّي فَلَبَّيْ يَدَيْ مِسْوَرِ

فلو كان بمنزلة "على" لقال : فَلَبَّى يديْ مسور ، لأنّك تقول : على زيدٍ إذا أظهرت الاسم (٤).

وممّا ورد من انفرادات عالمنا الجليل يونس النحويّة في كتاب سيبويه جعله "وحدَه" ظرفاً ؛ قال سيبويه : " وزعم يونس أنّ وحدَه بمنزلة عندَه " ؛ وقال في

---

١ / انظر المصدر السابق ، ج٤ ص ٤٢ – ٤٣ .

٢ / الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٣٥١ .

٣ / انظر شرح المفصل – ابن يعيش : يعيش بن علي بن يعيش ، قدم له : الدكتور إميل بديع يعقوب الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١م ، ج١ ص٢٩٢ .

٤/ انظر الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٣٥١ – ٣٥٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

موضع آخر : " وجعل يونس نصب وحده كأنّك قلت : مررتُ برجل على حِيالِه ، فطرحت "على" ، فمن ثَمّ قال : هو مثلُ عندَه " (١).

ومذهب أغلب النحاة في "وحدَه" – إذا قلت : سافر الرجل وحدَه – أنّها منصوبة حالاً بمعنى "منفرداً" (٢) ؛ ولكن ابن هشام أجاز ما ذهب إليه يونس من جعل "وحدَه" ونحوه منصوباً على الظرفيّة ؛ فإذا قيل : زيدٌ وحدَه ؛ أي : زيدٌ موضعَ التفرّد ، وأضاف إلى ذلك وجهاً آخر وهو نصبه على المصدريّة بفعلٍ مقدّر هو الخبر ، كما قالوا : "زيدٌ إقبالاً" ؛ أي : يقبل إقبالاً (٣).

ويظهر أنّ وجه جعل "وحدَ" ظرفاً وهو في موضع الخبر– كما في المثال : زيدٌ وحدَه – ربما يكون مقبولاً ؛ فكثيراً ما يقع الظرف موضع الخبر ؛ ولكن إذا ورد في جملة فعلية – على نحو : جاء زيدٌ وحدَه – لا يبدو أن وضعيّة جعله ظرفاً هنا مُرجحة بل الأصوب أن يُجعل مصدراً وقع حالاً بمعنى "منفرداً" ؛ وإذا رجعنا إلى التمثيل الوارد في كتاب سيبويه في قوله : "وجعل يونس نصب وحده كأنّك قلت : مررتُ برجل على حِيالِه ، فطرحت "على"" ظهر التعسف في وضع الظرفية في حال الجملة الفعليّة .

ومن التفرّد بالرأي النحويّ ليونس حسب ما ورد في "الكتاب" تجويزه إتيان المفعول له من غير المصدر في عبارة : "أما العبيد فذو عبيد" ؛ يقول سيبويه : "وزعم يونس أن قوماً من العرب يقولون : أما العبيد فذو عبيد ، وأما العبد فذو

---

١ / انظر الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٣٧٧ .

٢ / انظر شرح ابن عقيل – ابن عقيل ، ج٢ ص٢٤٩ ، وانظر شرح المفصّل – ابن يعيش ، ج٢ ص١٨ . .

٣ / انظر توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك – المرادي : أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ ، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، الناشر : دار الفكر العربي ، ط١ ، ٢٠٠٨م ، ج٢ ص٦٩٦ .

عبدٍ ، يُجرونه مُجرى المصدر سواءً. وهو قليل خبيث" (١). وموضع الشاهد هو نصب (العبيدَ) ؛ بمعنى : مهما يذكر شخص لأجل العبيد فالمذكور ذو عبيد ؛ واقتضى كلامه : أنّ العبيد مفعول له مع كونه غير مصدر .

وهذا الذي قال به يونس لا يتوافق مع رأي النحويين ؛ إذ أنّ من الشروط الأساسية لجعل الاسم مفعولاً له هو كونه مصدراً نحو : سجد الرجلُ شكراً لله ؛ فإذا فقد هذا الشرط تعيّن جرّه بحرف الجرّ نحو : جئتك للسمن (٢).

ولعلّ الأمر الآخر الذي يقتح في رأي يونس المتقدّم أنّ ما بعد "أمّا" الشرطيّة تقع عادة الجملة الاسميّة المكونة من المبتدأ والخبر التي تتأخر فيها فاء الجواب اللازمة إلى الخبر نحو : أمّا المسلمُ فلا يعتدي . فالأولى أنّ تكون عبارة: "فأمّا العبيد فذو عبيدٍ" آتية في وضع المبتدأ والخبر ؛ خاصة أنّ المثال المذكور فيه رفعٌ للشطر الثاني من الجملة "ذو عبيد" على أنّه خبرٌ . وأمّا التأويل الذي فُسّر به رأيه – وهو : مهما يذكر شخص لأجل العبيد فالمذكور ذو عبيد – ففيه كثير من الحذف والتعسّف .

وممّا رُوي من انفرادات يونس النحويّة في كتاب سيبويه تجويزه تعريف الحال في غير المواضع القليلة التي ذكرها النحويون لذلك ؛ فقد جاء في الكتاب : " وأما يونس فيقول : مررت به المسكينَ على قوله : مررت به مسكيناً . وهذا لا يجوز لأنّه لا ينبغي أن يجعله حالاً ويدخل فيه الألف واللام ، ولو جاز هذا لجاز : مررت بعبد الله الظريفَ ، تريد ظريفاً ..... " (٣) .

ورأي جمهور النحويين أنّ الحال إذا أتت معرفةً لفظاً فهي نكرة معنى ؛ وذكروا لذلك مواضع معينة ؛ منها : مررت به وحده ؛ أي : "منفرداً" ، وقولهم :

---

١ / الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٣٨٩ .
٢ / انظر شرح ابن عقيل – ابن عقيل ، ج٢ ص ١٨٦ .
٣ / الكتاب – سيبويه ، ج٢ ص٧٦ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

"جاؤوا قَضَّهم بقَضيضهم" ؛ أي : جميعاً ، وقولهم : "مررتُ بهم الجَمّاءَ الغَفِيرَ" ؛ أي : "مررتُ بهم جامّين غافرين" ، ومنه أيضاً : كلمته فاه إلى فيَّ ؛ أي : مشافهةً (١).

وقد تبع البغداديون والكوفيون بشرطٍ يونس في رأيه ؛ فأجاز البغداديون تعريف الحال مطلقاً نحو : جاء زيدٌ الراكبَ ؛ أمّا الكوفيون فيجوزن تعريف الحال في حال وضعه في أسلوب الشرط نحو : زيدٌ الراكبَ أحسن منه الماشيَ (٢).

ويظهر أنّ إجازة تعريف الحال مطلقاً تعترضه حالة ما إن كان الإعراب في آخر الكلمة ليس بيّناً كحالة الإعراب التقديري نحو : جاء الرجلُ المُستدعى ؛ أي: مُستدعياً – علي رأي من يُجيز تعريف الحال مطلقاً ؛ فهنا يحدث لبس ما بين النعت والحال ، والأقرب أن يُجعل نعتاً جرياناً على المعهود في نحو هذا التعبير .

وممّا انفرد به يونس أيضاً تجويزه الفصل بين "كم الخبرية" والمضاف إليها بالظرف أو الجار والمجرور ؛ قال سيبويه : "والجر في كم بها رجلٍ مصابٍ ، وترك النون في لا يَديْ بها لك ، قول يونس ، واحتج بأنّ الكلام لا يستغني إذا قلت كم بها رجلٍ" (٣).

والحق أنّ هذه المسألة للنحاة فيها ثلاثة وجوه ؛ أحدها : أنّه لا يجوز إلا في الشعر ، وهو مذهب جمهور البصريين . والثاني : أنه يجوز في الاختيار ، وهو مذهب الكوفيين . والثالث : أنه يجوز إذا كان الفصل بناقص نحو : "كم اليوم جائع أتاني" و"كم بك مأخوذ جاءني" لا إن كان بتام ، وهو مذهب يونس المتقدّم (٤).

---

١ / انظر شرح المفصل – ابن يعيش ، ج٢ ص١٧ – ٢٠ .
٢ / انظر شرح ابن عقيل – ابن عقيل ، ج٢ ص٢٥٠ .
٣ / الكتاب – سيبويه ، ج٢ ص٢٨١ .
٤ / انظر توضيح المقاصد – المرادي ، ج٣ ص١٣٣٩ .

ومن انفرادات يونس النحوية الواردة في كتاب سيبويه تجويزه إتيان نون التوكيد بعد أسلوب العرض ؛ يقول سيبويه : " وزعم يونس أنك تقول : هلاَّ تقولنَّ ، وألاَّ تقولنَّ . وهذا أقرب لأنك تعوّض ، فكأنَّك قلت : افعل ، لأنه استفهام فيه معنى العرض ؛ ومثل ذلك : لولا تقولَنّ ؛ لأنّك تعرض" (١).

وهذا التجويز مساير لما يورده النحاة من مشابهة أسلوب العرض لأساليب الأمر والنهي والاستفهام ؛ فإذا قلت : ألا تنزلَنَّ ، و"ألا تَقُولَنَّ" ؛ فأنّك تعرض ، فهو بمنزلة الأمر والنهي ؛ لأنَّه استدعاءٌ كما تستدعي بالأمر (٢).

وممّا انفرد به يونس من الآراء النحوية حسب ما ورد في كتاب سيبويه تجويزه إبدال نون التوكيد الخفيفة واواً مع فعل جماعة الذكور وياء مع فعل المخاطبة في حالة الوقف ؛ قال سيبويه : " وأما يونس فيقول : اخشيي واخشووا، يزيد الياء والواو بدلاً من النون الخفيفة من أجل الضمة والكسرة" (٣).

وهذا الرأي مخالفٌ لمذهب الخليل وسيبويه ؛ يقول صاحب الكتاب : "وقول العرب على قول الخليل ؛ وإذا وقفت عند النون في فعل مرتفع لجمع رددت النون التي تثبت في الرفع ، وكذلك في المؤنث ؛ وذلك قولك : هل تضربُنْ زيداً يا رجال، وهل تضربِنْ زيداً يا هند . فإذا وقفت قلت : هل تضربِين ، وهل تضربُون؛ فرددت الذاهب من أجل النون لمّا سقطت النون لانضمام ما قبلها وانكساره" (٤).

وجعل ابن يعيش ما ذهب إليه يونس جارياً على قياس من يبدل من التنوين في حالتي الرفع والجرّ في نحو : هذا قاضٍ ومررت بقاضٍ (٥).

---

١ / الكتاب – سيبويه ، ج٣ ص٥١٤ .
٢ / انظر شرح المفصل – ابن يعيش ، ج٥ ص١٦٨ .
٣ / الكتاب – سيبويه ، ج٣ ص٥٢٢ .
٤ / شرح كتاب سيبويه – السيرافي ، ج٤ ص٢٥٧ .
٥ / انظر شرح المفصل – ابن يعيش ، ج٥ ص٢٤٣ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هذه نماذج ممّا تفرّد به يونس بن حبيب من آراء في كتاب سيبويه ؛ ولعل من نافلة القول الذهاب إلى أنّ بعض ما ذهب إليه وُجد له مناصرون ممّن تلوا زمانه .

كما تلزم الإشارة هنا إلى أنّ كثيراً من المصادر تشير إلى وجود آراء نحوية أخرى لعالمنا الجليل يونس لم تأت عبر كتاب سيبويه بل أخذت طريقها للمصنفات والعلماء عن طريق سبل أخرى ، ولا يبعد أن تكون أخذت منه بعد وفاة سيبويه ؛ فالرجل عاش زمناً يُقدر بأربع وعشرين عاماً بعد صاحب الكتاب ؛ ومن ذلك على سبيل المثال تجويزه إعمال "ما" عمل ليس في الخبر الموجب ؛ قال المرادي " ورُوي عن يونس من غير طريق سيبويه إعمال ما في الخبر الموجب بـ" إلا" ؛ واستشهد على ذلك بعض النحويين ، بقول مغلس :

وما حق الذي يعثو نهاراً *** ويسرق ليله إلا نكالا

وبقول الآخر :

وما الدهر إلا منجنوناً بأهله *** وما صاحب الحاجات إلا معذبا

ووافق ابن مالك يونس ، على إجازة ذلك . قال : ما اخترته من حمل إلا منجنوناً وإلا نكالا على ظاهرهما ، من النصب بـ "ما" هو مذهب الشلوبين" (١).

---

١ / الجنى الداني في حروف المعاني- المرادي : أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ ، تحقيق : د فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م ، ص٣٢٥ .

ثانياً : المسائل النحويّة التي تحمل رأياً تبناه الكوفيون لاحقاً :

من خلال التتبع لآراء عالمنا الجليل يونس بن حبيب في كتاب سيبويه يلاحظ جنوحه لمذهب نحويّ قال به الكوفيون لاحقاً في مسألتين هما : جواز إلحاق علامة الندبة بالاسم الواقع صفة ، وتجويزه دخول نون التوكيد على فعل الاثنين والإناث .

فقد ورد في الكتاب في يتعلق بالمسألة الأولى قول سيبويه : " وأما يونس فيلحق الصفة الألف ، فيقول : وازيدُ الظريفاه ، واجُمجمتيّ الشّاميّتيْناه . وزعم الخليل رحمه الله أن هذا خطأ" (١).

وهذا الرأي يقول به الكوفيون واحتجوا لذلك بأن قالوا : أجمعنا على أنه يجوز أن نلقي علامة الندبة على المضاف إليه ، نحو قولك : "واعبد زيداه ، واغلام عمراه" فكذلك ههنا ؛ لأنّ الصفة مع الموصوف بمنزلة المضاف مع المضاف إليه ؛ فإذا جاز أن تلقى علامة الندبة على المضاف إليه فكذلك يجوز أن تلقى على الصفة . والذي يدل على ذلك ما رُوي عن بعض العرب أنه ضاع منه جمجمتان – أي قدحان – فقال : "واجمجمتي الشاميتيناه" ؛ فألقى علامة الندبة على الصفة (٢).

أما البصريون فعللوا المنع بأن ذكروا أنّ علامة الندبة إنّما تلقى على ما يلحقه تنبيه النداء لمد الصوت ، وليس ذلك موجوداً في الصفة ؛ لأنّها لا يلزم ذكرها مع الموصوف (٣). وهم لا يسلمون بالتشابه في ذلك بين وضع المضاف

---

١ / الكتاب – سيبويه ، ج٢ ص٢٢٦ .
٢ / انظر الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكوفيين – ابن الأنباري : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ٢٠٠٣م ، ج١ ص٣٠٠ .
٣ / انظر المقتضب – المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، طبعة عالم الكتب – بيروت ، ج٤ ص٢٧٥ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والمضاف إليه ووضع الصفة والموصوف ؛ لأنّ المضاف لا يتم بدون ذكر المضاف إليه ، بخلاف الموصوف مع الصفة فإن الموصوف يتم بدون ذكر الصفة؛ فلو قلت "عبد" في قولك : عبد زيدٍ ، أو "غلام" في قولك : غلام عمروٍ

لم يتم إلا بذكر المضاف إليه ، أمّا لو قلت "زيد" في قولك : هذا زيد الظريف فيتم الموصوف دون ذكر الصفة ، وأنت في ذكرها مخيراً : إن شئت ذكرتها ، وإن شئت لم تذكرها ، لذلك الفرق بينهما واضحٌ (١).

ويبدو أنّ إلحاق علامة الندبة بالصفة فيه من الضعف ما لا يخفى ؛ لأنّ المندوب هو مدعوٌّ على سبيل التوجّع منه أو عليه ، ولا ينطبق هذا على الصفات التي ترد مع المعنِي بالندبة .

أمّا المسألة الثانية التي وافق فيها رأي يونس مذهب الكوفيين لاحقاً فهي تجويزه إلحاق نون التوكيد بفعل الاثنين وفعل الإناث ؛ قال سيبويه : "وأما يونس وناسٌ من النحويين فيقولون : اضربان زيداً واضربنان زيداً. فهذا لم تقله العرب، وليس له نظير في كلامها . ولا يقع بعد الألف ساكنٌ إلا أن يدغم" (٢).

وهذا المنحى يذهب إليه الكوفيون أيضاً ؛ فهم يقولون بجواز إدخال نون التوكيد الخفيفة على فعل الاثنين وجماعة النسوة ؛ وذلك لوجهين (٣):

أحدهما: أن هذه النون الخفيفة مخففة من الثقيلة ، والثقيلة تدخل في هذين الموضعين ؛ فكذلك النون الخفيفة .

والوجه الثاني : أن هذه النون إنما دخلت في القسم والأمر والنهي والاستفهام والشرط بـ"إما" لتوكيد الفعل المستقل ، فكما يجوز إدخالها للتوكيد

---

١ / انظر الإنصاف في مسائل الخلاف – ابن الأنباري ، ج١ ص٣٠٠ – ٣٠١ .
٢ / الكتاب – سيبويه ، ج٣ ص٥٢٧ .
٣ / انظر الإنصاف في مسائل الخلاف – ابن الأنباري ، ج٢ ص٥٣٦ .

على كل فعل مستقبل وقع في هذه المواضع فكذلك فيما وقع الخلاف فيه ، وقصارى ما يقدر أن يقال : إنه يؤدي إلى اجتماع الساكنين الألف والنون ، وقد جاء ذلك في كلام العرب ؛ لأن الألف فيها فرط مد ، والمد يقوم مقام الحركة ، وقد قرأ نافع ، وهو أحد أئمة القراء {إن صلاتي ونسكي ومحياي} [الأنعام : ١٦٢] بسكون الياء من {ومحياي} فجمع بين الساكنين وهما الألف والياء ، فكذلك ههنا .

أمّا البصريون فذكروا في منع ذلك مجموعة علل منها : أنّ نون التوكيد إذا دخلت على فعل الاثنين وجب حذف نون الإعراب ، فإذا سقطت النون بقيت الألف ؛ فلو أدخل عليها نون التوكيد الخفيفة لم يخل : إما أن تحذف الألف أو تكسر النون ، أو تُقرّ ساكنة ، فيبطل أن تُحذف الألف ؛ لأنه بحذفها يلتبس فعل الاثنين بالواحد ، وبطل أن تكسر النون ؛ لأنه لا يعلم هل هي نون الإعراب أو نون التوكيد ، وبطل أن تقر ساكنة ؛ لأنه يؤدي إلى أن يجمع بين ساكنين مظهرين في الإدراج ، وذلك لا يجوز ؛ لأنه إنما يكون ذلك في كلامهم إذا كان الثاني منهما مدغماً ، نحو : "دابّة ، وضالّة " وما أشبه ذلك ؛ فبطل لذلك إدخال هذه النون في فعل الاثنين . وكذلك يبطل إدخالها في فعل جماعة النسوة ؛ لأنّها إذا لحقته فإمّا أن تُبين النونين مظهرتين ، أو تدغم إحداهما في الأخرى ، أو تلحق بالفعل الألف فيكون على نحو : "يفعلنان" ؛ فيبطل أن تبين النونين مظهرتين ؛ لأنه يؤدي إلى اجتماع المثلين ، وذلك لا يجوز ، ويبطل أن تدغم إحداهما في الأخرى ؛ لأنّ لام الفعل ساكنة ، والمدغم كذلك ؛ فيلتقي ساكنان ، والساكنان لا يجتمعان ؛ فيؤدي إلى تحريك اللام مع ضمير الفاعل من غير فائدة ، وذلك لا يجوز ، كما أنّه يؤدي إلى اللبس ؛ لأنه لا يخلو : إما أن تحرك اللام بالفتح ، أو الضم ، أو الكسر ؛ فإن حركتها بالفتح التبس بفعل الواحد إذا لحقته النون الشديدة ، نحو "تضربَن يا رجل" وإن حركتها بالضم التبس بفعل الجمع ، نحو : "تضربُن يا رجال" وإن حركتها بالكسر التبس بفعل المرأة المخاطبة ، نحو : "تضربِن يا امرأة" فيبطل

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

تحريك اللام ، ويبطل أن تُلحق بالفعل الألف ؛ لأنّك إما أن تكسر النون لالتقاء الساكنين ، أو تتركها ساكنة مع الألف ؛ فيبطل أن تكسر لالتقاء الساكنين ؛ لأنها تجري مجرى نون الإعراب عندئذ ، وذلك لا يجوز، ويبطل أن تتركها ساكنة مع الألف ؛ لأنه يجتمع ساكنان على غير حده ؛ ولم ينقل ذلك عن أحد من العرب ، ولا نظير له في كلامهم ، وذلك لا يجوز ([1]).

وممّا عُهد عن البصريين نفياً لدخول هاتين النونين في هذين الموضعين أنّهم لا يعدّون النون الخفيفة نوعاً من النون الثقيلة ؛ بل كل واحدةٍ منهما نوعٌ قائمٌ بذاته ([2]).

ووجود موافقة الكوفيين لاحقاً لرأي يونس في هاتين المسألتين الواردتين عنه في كتاب سيبويه لا ينفي عنه موافقتهم له في مسائل نحوية أخرى مصدر رأيه فيها ليس كتاب سيبويه ؛ فقد رُوي عن يونس تجويزه العطف على الضمير المجرور في نحو : مررت بك وزيدٍ ؛ فقد قال ابن مالك : " لا يمتنع في نحو: مررت بك وزيد ، وإذا بطل كون ما تعلقوا به مانعاً ، وجب الاعتراف بصحة الجواز. ومن مؤيدات الجواز قوله تعالى : (..... وكفر به والمسجد الحرام) بجر المسجد بالعطف على الهاء ، لا بالعطف على سبيل ، لاستلزامه العطف على المصدر قبل تمام صلته ؛ لأن المعطوف على جزء الصلة داخل في الصلة ، وتوقي هذا المحظور حمل أبا علي الشلوبين على موافقة يونس والأخفش والكوفيين في هذه المسألة" ([3]).

---

١ / انظر الإنصاف في مسائل الخلاف – ابن الأنباري ، ج٢ ص٥٣٧ – ٥٣٨ .

٢ / انظر اللباب في علل البناء والإعراب – العكبري : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، تحقيق : د. عبد الإله النبهان ، ط١ ، دار الفكر – دمشق ١٤١٦ – ١٩٩٥م ، ج٢ ص٦٨ .

٣ / شرح التسهيل – ابن مالك : أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله ،تحقيق : د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون ، ط١ ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٩٠م ، ج٣ ص٣٧٦ .

ثالثاً : روايات يونس عن أبي عمرو بن العلاء :

يبدو أن يونس بن حبيب كان ذا حظوةٍ عند أستاذه أبي عمرو بن العلاء ؛ يدلل على ذلك قول ابن سلام الجمحي – المتقدم – "ما كنت أنا ولا أمثالي نسأل أبا عمرو بن العلاء عن شيءٍ ، إنَّما كان يسأله يونس ، ونسمع" ؛ وقد بان أثر هذه الناحية عند تتبع الروايات عن أبي عمروٍ في كتاب سيبويه ؛ إذ يفوق ما رُوي عن طريق يونس الاثني عشر موضعاً .

وقد تباينت طرق الرواية عن أبي عمرو المنقولة عبر يونس ؛ إذ تعقب الرواية عنه أحياناً الرأي النحوي الذي يورده سيبويه على نسق قوله : "واعلم أن ما كان صفة للمعرفة لا يكون حالاً ينتصب انتصابَ النكرة ، وذلك أنه لا يحسُن لك أن تقول : هذا زيدٌ الطويلَ ، ولا هذا زيدٌ أخاك ، من قبل أنه من قال هذا فينبغي له أن يجعله صفة للنكرة ، فيقول : هذا رجلٌ أخوك .

ومثل ذلك في القبح : هذا زيدٌ أسودَ الناس ، وهذا زيدٌ سيدَ الناس ، حدثنا بذلك يونس عن أبي عمرو" (١). ومعظم الروايات المروية عن أبي عمرو عبر يونس تأخذ هذا النهج .

وفي بعض الأحيان تأتي الرواية المنقولة في مطلع الرأي النحوي على نحو قول سيبويه : "وزعم يونسُ أنّ أبا عمرو كان يقول : داري من خَلْفِ دارك فرسخانِ ، فشبَّهه بقولك : دارُك منّى فرسخانِ" (٢).

وقد تأتي الرواية عن أبي عمرو متصلة بابن أبي إسحاق كقول سيبويه : "فإن سميت المؤنث بعمرو أو زيد ، لم يجز الصرف . هذا قول ابن أبي إسحاق وأبي عمرو ، فيما حدثنا يونس ، وهو القياس" (٣).

---

١ / الكتاب – سيبويه ، ج٢ ص١١٣ .
٢ / الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٤١٧ .
٣ / المصدر السابق ، ج٣ ص٢٤٢ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد تأخذ الرواية المنقولة عن أبي عمرو عبر يونس منحى التخطأة لبعض قول العرب كقول سيبويه في (باب لا تكون هو وأخواتها فيه فصلاً ولكن يكن بمنزلة اسم مبتدأ) : "وذلك قولك : ما أظن أحداً هو خيرٌ منك ، وما أجعلُ رجلاً هو أكرم منك ، وما إخالُ رجلاً هو أكرمُ منك . لم يجعلوه فصلاً وقبله نكرة ، كما أنه لا يكون وصفاً ولا بدلاً لنكرة ، وكما أنّ كلهم وأجمعين لا يكرَّران على نكرة ، فاستقبحوا أن يجعلوها فصلاً في النكرة كما جعلوها في المعرفة لأنها معرفة ، فلم تصر فصلاً إلا لمعرفة كما لم تكن وصفاً ولا بدلاً إلا لمعرفة . وأما أهل المدينة فينزلون هو هاهنا بمنزلته بين المعرفتين ، ويجعلونها فصلاً في هذا الموضع . فزعم يونس أن أبا عمرو رآه لحنا" (١).

رابعًا : موافقة آراء يونس لقبيل من النحاة :

يلاحظ من خلال مطالعة كتاب سيبويه أنّ آراء عالمنا الجليل يونس توافق آراء بعض أئمة النحو أحياناً ؛ وقد أحصيت لذلك نحواً من واحدٍ وثلاثين موضعاً.

ومن ذلك قول سيبويه : " كما جاز لك أن تقول : إن زيداً فيها وعمرو . ومثله : " إنّ الله بريء مِنَ المُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ " . فابتدأ لأنَّ معنى الحديث حين قال : إن زيداً منطلق : زيد منطلقٌ ، ولكنّه أَكَّدَ بإنّ ، كما أَكَّدَ فأَظهرَ زيداً وأَضمره. والرفعُ قولُ يونُسَ" (٢).

ومسألة العطف على اسم "إنّ" بعد تمام الخبر ممّا يجوز فيه عند النحاة الرفع والنصب ؛ تقول : إنّ زيدًا منطلقٌ وعمرًا فتعطف على "زيداً" وتستغني بخبر الأول ، ويجوز "وعمروٌ" بالعطف على موضع "إنّ واسمها" ، ومن شواهد النصب قول رؤبة :

---

١ / المصدر السابق نفسه ، ج٢ ص٣٩٦ .

٢ / الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٢٣٨ .

إنَّ الرَّبيعَ الجودَ والخريفا *** يدا أبي العباس والصيوفا

أراد : وإنّ الصيوف يدا أبي العباس فاكتفى بخبر الأول ، ولك أن ترفع على الموضع (١) .

وممّا وُجد ليونس من رأيٍ نحويّ موافق لرأي جمهور النحويين قول سيبويه : "وأما قوله جَلَّ وعزّ : " بلى قادرين "، فهو على الفعل الذى أُظهر ، كأنّه قال : بَلَى نَجمعُها قادرينَ . حدّثنا بذلك يونسُ" (٢).

وعامل الحال "قادرين" في معظم كتب النحاة مقدر على نسق الفعل المذكور "نجمع" الوارد في الآية السابقة – كما ذكر يونس ؛ وقالت قلّة بتوجيهات أخرى فجعل بعضهم المسألة على تقدير : بلَى كُنّا قَادِرين (٣).

وقد يأتي الرأي النحوي الموافق لطائفة من النحويين عبر شاهد يرويه عالمنا الجليل يونس ؛ قال سيبويه : " وزعم يونس أنّ ناساً من العرب يقولون :

أنصب للمنية تعتريهم *** رجالي أم هم درجُ السُّيولِ

فجعَلَهُم هم الدّرَجُ ، كما تقول : زيدٌ قَصْدُك" (٤).

قال السيرافي : "وقد ذكر يونس : أنّ من العرب من يقول : زيدٌ خلفُك يجعله هو الخلف ، وقد ظهر أنّ سيبويه يجيز : زيدٌ خلفُك ؛ إذا جعلته هو الخلف ، ولم يشرط ضرورة شاعر ؛ وهو قول المازني ، فكان الجرمي لا يجيزه إلا في ضرورة الشعر . والكوفيون يمنعونه أشد المنع" (٥).

---

١ / انظر الأصول في النحو ، ابن السراج : أبو بكر محمد بن السري بن سهل ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ج١ ص٢٥٠ .
٢ / الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٣٤٦ .
٣ / انظر الجمل في النحو – الخليل بنً أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، ط١ ، ١٩٩٥م ، ص٩٦ .
٤ / الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٤١٦ .
٥ / شرح كتاب سيبويه – السيرافي ، ج٢ ص٣٠٤ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وبعض النحاة يوجب في الظرف غير المتصرف – نحو : خلف وتحت وفوق وغيرها – النصب إذا وقع خبراً ؛ ولكن إذا كان الخبر هو المبتدأ في المعنى يجوز فيه الوجهان ؛ فإذا قلت : ظهرُك خلفك ، جاز رفع الظرف المكانى : "خلْف" ونصبه ؛ فأمّا الرفع فلأنّ الخلف فى المعنى هو : الظهر ، وأما النصب فعلى الظرفية الواقعة خبراً . وكذلك ما يشبه ما سبق من الظروف المكانية ، نحو : نعلك أسفل رجلك ، والركب أسفل منك (١).

وقد يأتي الرأي ليونس في هذا الباب مناصراً لرأي البصريين ورأي جمهور النحويين عموماً ؛ كما هو الحال في مسألة عدم جواز استخدام بعض أدوات الاستفهام في عطف النسق ؛ يقول سيبويه في ذلك : " وتقول : ما مررتُ برجلٍ مسلمٍ فكيفَ رجل راغب فى الصّدقة ، بمنزلة : فأين راغب في الصدقة . وزعم يونس أن الجرّ خطأ ؛ لأنّ أين ونحوها يبتدأ بهن ولا يضمر بعدهن شيء كقولك : فهلا دينارا ، إلاّ أنّهما مما يكون بعدهما الفعل " (٢). وقال في موضع آخر : " وأمّا : ما مررتُ برجلٍ فكيف امرأة ، فزعم يونس أنّ الجرَّ خطأ ، وقال : هو بمنزلة أَيْنَ . ومن جرَّ هذا فهو ينبغى له أن يقول : ما مررت بعبد الله فلِم أخيه ، وما لقيت زيداً مرّة فكم أبا عمرو ؟ تريد : فلِم مررت بأخيه ؟ وفكم لقيت أبا عمرو؟ (٣).

ومن المعروف أنّ أدوات الاستفهام لا يجوز استخدامها في عطف النسق عند جمهور النحويين وقد رُوي أنّ الكوفيين يجوّزون ذلك ؛ يقول السيرافي : "مذهب البصريين أنّ العطف لا يجوز بشيء من حروف الاستفهام ، فأمّا الكوفيون فقد أجازوا النسق وهو العطف بـ (أين وكيف وألا وهلّا) . وألزم سيبويه من

---

١ / انظر النحو الوافي – عباس حسن ، ط٢٥ ، دار المعارف ، ج١ ص٤٨٤ .
٢ / الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٤٣٥ .
٣ / انظر المصدر السابق ، ج١ ص٤٤١ .

أجاز النسق بـ (أين وكيف) بلم وبكم ؛ فقال : ينبغي أن يجيز : ما مررت بعبد الله فلِم أخيه ؟ وما لقيت زيداً فكم أبا عمرو ، تريد : مررت بأخيه ، وكم لقيت أبا عمرو . وهم لا يلتزمون ذلك" (١).

وقد تأتي رواية سيبويه عن يونس في بعض المسائل النحوية أحياناً مجموعة مع رواية عن الخليل على نسق قول صاحب الكتاب : " وزعم يونس والخليل أنّ هذه الصفات المضافةَ إلى المعرفة ، التي صارت صفةً للنكرة ، قد يجوز فيهن كلهن أن يكون معرفة ، وذلك معروفٌ فى كلام العرب . يدلّك على ذلك أنّه يجوز لك أن تقول : مررت بعبد الله ضاربِك ، فجعلتَ ضاربك بمنزلة صاحبك" (٢).

وترد الرواية عن يونس في هذا الباب الذي يوافق فيه آراء قبيلٍ من النحويين في صورة حوار بينه وبين سيبويه أحياناً ؛ يقول صاحب الكتاب : "وسمعت يونس يقول : ما أتيتني فأحدثُك فيما أستقبل ، فقلت له : ما تريد به ؟ فقال : أريد أن أقول : ما أتيتني فأنا أحدثُك وأكرمك فيما أستقبل . وقال : هذا مثل ائتني فأحدثك ، إذا أراد ائتني فأنا صاحب هذا" (٣).

وهذا الوضع من أوضاع المضارع المقرون بالفاء والمسبوق بالنفي ممّا يجوز فيه رفع المضارع أو نصبه ؛ فإذا قلت : "ما تحضر فتحدثنا" جاز رفع الفعل باعتبار أنّ الجملة الأولى منفية المعنى والفاء للاستئناف الخالص ، فما بعدها جملة مستقلة في إعرابها عن الأولى . والنصب على اعتبار "الفاء" سببية جوابية ؛ فالمضارع بعدها منصوب بـ "أنْ" المضمرة وجوباً ، وما بعدها مسبب عما قبلها وجواب للنفي (٤).

---

١ / انظر شرح كتاب سيبويه – السيرافي ، ج٢ ص٣٣٨ .
٢ / انظر الكتاب – سيبويه ، ج١ص ٤٢٨ .
٣ / الكتاب – سيبويه ، ج٣ ص٤٠ .
٤ / انظر النحو الوافي – عباس حسن ، ج٤ ص٣٥٩ وص٣٦١ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

هذه بعض صورٍ لروايات سيبويه عن يونس في كتابه ممّا جاء موافقاً في المذهب النحويّ لرأي طائفة من النحويين .

خامساً : روايات يونس بن حبيب عن العرب في الشواهد والغريب :

يُعدّ ما رُوي عن يونس في كتاب سيبويه من الشواهد والغريب وأقوال العرب أكثر الجوانب الخمس وروداً في تصنيفات الرواية عنه – حسب هذه الدراسة – ؛ فقد أحصيت له في هذا الجانب نحواً من خمس وخمسين موضعاً تناثرت في الكتاب ؛ وهي موزعة ما بين أقوال للعرب وأبيات شعريّة ؛ وتعدّ الرواية عن العرب في الأقوال والغريب هي الأكثر إذ بلغت نحواً من سبعةٍ وثلاثين موضعاً ؛ في حين بلغت الأبيات الشعرية وأشطارها نحو ثمانية عشر .

وتتباين طرق الرواية لأقوال العرب الواردة عبر يونس في الكتاب ؛ فأحياناً يُذكر الراوي مطلع الرواية علي نحو قول سيبويه : " وزعم يونس أن من العرب مَنْ يقول : عائذ بالله ، يريد : أنا عائذ بالله ، كأنه أمرٌ قد وقع ، بمنزلة الحمدُ لله وما أشبهه . وزعم يونس أنّهم يقولون : عائذٌ بالله . فإن أَظهر هذا المضمر لم يكن إلاّ الرفعُ ، إذ جاز الرفع وأنت تُضمر ، وجاز لك أن تحمل عليه المصدر ، وهو غيره ..... " (١).

وأحياناً يأتي ذكر الرواية أولاً وعالمنا يونس في ختامها على نسق قول سيبويه : " .... وكذلك أقل من يقول ذلك ، وقل من يقول ذاك ، إذا جعلتَ منْ بمنزلة رجلٍ . حدثنا بذلك يونس عن العرب ، يجعلونه نكرة" (٢).

وقد يقرن معه في روايته لقول العرب راوٍ آخر على نحو قول سيبويه – تحت عنوان (ما يجوز فيه الرفع مما ينتصب في المعرفة) : " وذلك قولك : هذا عبد الله منطلقٌ ، حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمّن يوثق به من العرب" (٣).

---

١ / الكتاب – سيبويه ، ج١ ص٣٤٧ .
٢ / المصدر السابق ، ج٢ ص٣١٥ .
٣ / الكتاب – سيبويه ، ج٢ ص٨٣ .

وجاءت رواية يونس لقول العرب في موضع معين عن إعرابيّ واحد ؛ قال سيبويه : " وزعم يونس أنه سمع أعرابياً يقول : ضرب مَنٌ مَناً؟ وهذا بعيد لا تكلم به العرب ولا يستعمله منهم ناس كثير . وكان يونس إذا ذكرها يقول لا يقبل هذا كلُ أحد . فإنما يجوز مَنونَ يا فتى على ذا" (١).

وقد نقل يونس أقوالاً عن رؤبة في بضعة مواضع من الكتاب ؛ ومن ذلك قول سيبويه : " وقد يثنُّون ما يكون بعضاً لشيء. زعم يونس أن رؤبة كان يقول : ما أحسنَ رأسيهما" (٢).

أمّا مواضع الشواهد الشعريّة التي رُويت عن طريق يونس في كتاب سيبويه فكلّها أبيات كاملة عدا شطري بيت في موضعين وبيتي رجز في موضعين أيضاً ؛ وأغلب هذه الشواهد الواردة تجاري ما يجوّزه النحاة من رأي أو مذهب ؛ ومن ذلك تجويزهم إلغاء الفعل الناصب للمفعولين عن العمل إذا تأخّر أو توسّط كقولهم : "عبدُ الله أظنّ ذاهبٌ" ، و"هذا أخال أخوك" ، و" فيها أرى أبوك) (٣). وعلى مثل هذا أنشد سيبويه البيت التالي – وهو ممّا رواه يونس عن العرب في الكتاب – (٤):

أَبِالأراجيزِ يا ابنَ اللُّؤْمِ توعدُنُي *** وفي الأراجيز خِلْتُ اللُّؤْمُ والخَوَرُ

"فاللؤم" الثانية مرفوعة بالابتداء ، و"الخور" معطوف عليه ، "وفي الأراجيز" هو الخبر ، و"خلت" ملغاة ، وهو بمنزلة "فيها أرى أبوك".

---

١ / المصدر السابق ، ج٢ ص٤١١ .
٢ / المصدر السابق نفسه ، ج٢ ص٤٨ .
٣ / انظر شرح كتاب سيبويه – السيرافي ، ج١ ص٤٥٤ .
٤ / انظر الكتاب – سيبويه ، ج١ ص١٢٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد يأتي الشاهد الشعري المرويّ عبر يونس في الكتاب يسند قاعدة ليست هي الاختيار عند النحاة وإنّما هي آتية على سبيل الجواز ، كروايته لبيت عبدة بن الطبيب (١):

فما كانَ قيسٌ هُلْكُهُ هُلْكَ واحِدٍ *** ولكنّه بُنيانُ قومٍ تَهَدَّمَا

والرواية المعنيّة هنا بنصب "هلكَ" على أنّها خبر لـــ"كان" وجعل "هلكُه" بدلاً من اسمها "قيسٌ" . والذي عليه الشيوع في مثل هذا الوضع أن ترفع "هلكُ" خبراً لـــ"هلكُه" وتُجعل الجملة الاسمية في موضع النصب خبراً لـــ"كان" . وقد روى ابن السراج عن سيبويه في هذه المسألة قوله : "والرفع في هذا أعرف ، والنصب عربي جيدٌ" (٢).

وقد يرد الشاهد الشعري الذي يرويه يونس في هذا الباب خارجاً على القاعدة النحويّة وضرورة كما هو في قول ذي الرّمة (٣):

ديارَ ميّةَ إذْ مَيٌّ تُساعفُنا *** ولا يَرى مثلَها عُجمٌ ولا عربُ

والشاهد في ترخيم "مية" إلى "ميٌ" في غير باب النداء وهو بهذا الوضع يعدّ شاذاً . وورد للنحاة في الشاهد قولان ؛ أحدهما : أنه رخّم " ميّة " للضرورة – كما ما تقدّم – ، والثاني : أن هذه المرأة تسمى بـ "ميّ وميّة" وهما اسمان لها ؛ فمرة يسمّيها بهذا ومرة يسمّيها بذاك (٤). وعلى القول الثاني لا يكون هنالك شذوذ على قواعد النحويين .

---

١ / انظر المصدر السابق ، ج١ ص١٥٦ .
٢ / انظر الأصول في النحو – ابن السراج ، ج٢ ص٥١ .
٣ / انظر الكتاب – سيبويه ، ج٢ ص٢٤٧ .
٤ / انظر شرح كتاب سيبويه – السيرافي ، ج١ ص٢٠٩ .

ومن هذا الخروج على ضوابط النحو ممّا رواه يونس من شواهد في كتاب سيبويه قول الأعشى ([1]):

ثُمَّتَ لا تجزونني عند ذاكم *** ولكنْ سَيَجْزِيني الإلهُ فيُعقِبَا

والشاهد في البيت نصبه "يعقبَ" بعد الفاء في غير المواضع المعروفة لذلك، والوجه الصحيح رفعه . وقد قال سيبويه فيه : "وهو ضعيف في الكلام" ([2]).

وممّا جاء شاذاً على قواعد النحويين ممّا رواه يونس من الشواهد قول الشاعر ([3]):

قد عَجِبتُ مني ومِن يُعَيْلِيَا *** لَمَّا رأتْني خَلَقاً مُقْلَوْلِيَا

وموضع الشاهد في " يُعَيْلِيَا" حيث جرّها بإظهار فتحة الممنوع من الصرف على الياء ، والوجه عند معظم النحاة حذف الياء منها لأنّها نكرة مجرورة بـ"من" ([4]). ويتخذ هذا البيت شاهداً عند يونس وعيسى بن عمر والكسائي على أنّ نحو : (قاض) إذا اتخذت اسماً لامرأة ، يجري مجرى الصحيح في ترك تنوينه وجره بفتحة ظاهرة أي : يُعامل معاملة الممنوع من الصرف ، فيقولون : هذه قاضيُ ورأيت قاضيَ ومررت بقاضيَ ([5]).

هذه ضروبٌ وأنواعٌ ممّا رواه يونس وورد ذكره في كتاب سيبويه وهي نماذج لبعضها نظائر أخرى كثيرة ، وقد يكون وضع قبيل من شواهد يونس مخالفاً في نهجه وطريقته لما ذكرت ؛ وإنما اكتفينا بذلك لإعطاء صورة عامة لما عليه وضع الشاهد المروي في الكتاب عبر يونس وليس إحاطةً بتفاصيل أمرها جميعاً ؛ وذلك خشية الإطالة والإطناب .

---

١ / انظر الكتاب – سيبويه ، ج٣ ص٣٩ .
٢ / المصدر السابق ، ج٣ ص٤٠ .
٣ / انظر المصدر السابق نفسه ، ج٣ ص٣١٥ .
٤ / انظر شرح كتاب سيبويه – السيرافي ، ج٤ ص٧٨ .
٥ / انظر شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك – بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠م ، ج١ ص٤٧٠ .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

خاتمة البحث ونتائجه :

حاولت هذه الدراسة أن تستقصي آراء عالمٍ من علماء العربيـــة القـــدامى ممّن كان له السبق في وضع أسس النحو وضوابطه وهو يونس بن حبيب ؛ وذلك بتتبع مجهوده النحوي وآرائه ورواياته من خلال إمام كتـــب النحـــويين "كتـــاب سيبويه" ؛ لعلّ في ذلك عوناً في التبصير بسمات تلك الآراء والروايات ؛ خاصـــةً وأنّ الرجل – شأن كثيرٍ من العلماء الأقدمين – لم يصلنا منـــه مصـــنفٌ نحـــويٌّ يُهتدى به لذلك ، وقد خلصت الدراسة إلى مجموعة نتائج أهمّها ما يأتي :

١- انفراد يونس بن حبيب بآراء نحويّة خاصة به في عددٍ من مســـائل النحـــو : كعدّه "لبيك" اسماً مفرداً وليست مثنى على هو عند جمهور النحويين ، وجعله "وحده" ونحوها ظرفاً ، وتجويزه تعريف الحال ، وقوله بجـــواز إتيـــان نـــون التوكيد بعد أسلوب العرض ، وغيرها .

٢- عدم استبعاد أن يكون للرأي المنفرد المنسوب ليـــونس فـــي كتـــاب ســـيبويه مناصرون من النحويين اللاحقين .

٣- خروج يونس لآراء نحويّة تبنّاها الكوفيون لاحقاً ؛ كتجويزه إلحـــاق علامـــة الندبة بالاسم الواقع صفة للمندوب ، وتجويزه دخول نون التوكيد علـــى فعـــل الاثنين والإناث .

٤- قلّة آراء يونس النحويّة الواردة في كتاب سيبويه مناصرة لمذاهب الكـــوفيين النحويّة إذا ما قورنت ببقيّة آرائه .

٥- اعتبار يونس بن حبيب مصدراً أساسيّاً للروايات والآراء النحويّـــة المنســـوبة لأبي عمرو ابن العلاء أستاذه .

٦- كثرة آراء يونس النحوية الموافقة لآراء جمهور النحويين خاصةً البصـــريين منهم في كتاب سيبويه .

٧- عدم عدّ كتاب سيبويه المصدر الوحيد لآراء يونس النحويّة – بمختلف أنواعها – ؛ بل وُجدت له آراء في مصادر أخرى ؛ وذلك لأنّ الرجل عاش بعد سيبويه زماناً ؛ فقد رُوي عنه في مصادر أخرى موافقته للكوفيين في جواز جرّ الضمير بالحرف دون إعادة الخافض ، كما نُسب إليه في مصادر أخرى إعمال "ما" في الخبر المنقوض بـ"إلّا" ؛ وغير ذلك ممّا هو مبثوث في مصنّفات النحو .

٨- عدّ جانب الرواية عن العرب في الشواهد والغريب المنسوب في كتاب سيبويه ليونس أكثر أصناف ما نُسب إليه في إمام كتب النحويين ؛ ولا غرابة في ذلك فالرجل يُعدّ من العلماء الأفذاذ في المعرفة بشعر العرب وأقوالهم والغريب .

٩- كثرة إتيان الرأي المنسوب ليونس في الكتاب بطريقة السرد والحكاية على نسق قول سيبويه : "وزعم يونس" أو "وأمّا يونس فيقول أو فزعم أو فإنّه أو فكان يقول ونحو ذلك" ، وقلّما نجد الرأي يرد في صورة حوارٍ ونقاش بينه وبين سيبويه على نسق ما يدور كثيراً من حوارات ونقاش بين صاحب الكتاب وأستاذه الخليل .

١٠- اعتبار كتاب سيبويه مصدراً أساسيّاً لآراء يونس بن حبيب النحويّة ورواياته ؛ بل يمكن عدّ يونس من العلماء الأقدمين القلائل الذين أكثر صاحب الكتاب من ذكر آرائهم ورواياتهم ؛ فعالمنا الجليل يعد الثاني – بعد الخليل – من حيث كثرة النقل عنه في الكتاب .

وفي ختام هذه الدراسة أتمنى أن أكون قد وُفقّت في متابعة واستقصاء آراء وروايات عالمنا الجليل يونس بن حبيب النحوية في إمام كتب النحويين كتاب سيبويه راجياً أن يكون كل ما يتعلق بهذا الإمام النحويّ من ظهور نحويٍّ في مصنف سيبويه قد اتضح أمره وبان شأنه ممّا يعين في تبيان مجمل آرائه النحوية . وأرجو أن أوصي في هذا الختام بضرورة عمل دراسة تنظر في آراء يونس في الشقّ الثاني من الكتاب وهو قسم الصرف ؛ فالرجل عالم لغة له رؤى قيمة في هذا الجانب .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

أهم المصادر والمراجع :

١- القرآن الكريم .
٢- أخبار النحويين – أبو طاهر البزّار : عبد الواحد بن عمر بن محمد بن أبي هاشم ، تحقيق : مجدي فتحي السيّد ، طبعة دار الصحابة للتـــراث ، ط١ ، طنطا – ١٤١٠ه .
٣- أخبار النحويين البصريين ، السيرافي : أبو سعيد الحسن بن عبد الله بـــن المرزبان ، تحقيق : طه محمد الزيني ، ومحمد عبد المنعم خفاجي ، طبعة مصطفى البابي الحلبي ، ١٩٦٦م .
٤- الأصول في النحو ، ابن السراج : أبو بكر محمد بن السري بـــن ســـهل ، تحقيق : عبد الحسين الفتلي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .
٥- الأضداد – ابن الأنباري : محمد بن القاسم ، تحقيق : محمد أبـــو الفضـــل إبراهيم ، طبعة المكتبة العصرية ، ط١ ، صيدا – بيروت – ١٩٨٧م .
٦- الأغاني – أبو الفرج الأصفهاني : علي بن الحسين ، تحقيق : د. إحســـان عباس ود. إبراهيم السعافين والأستاذ : بكر عباس ، طبعة دار صـــادر ، ط٣ ، ٢٠٠٨م .
٧- إنباه الرواة على أنباه النحاة – القفطي : جمال الدين أبو الحسن علي بـــن يوسف ، المكتبة العنصرية ، ط١ بيروت – ١٤٢٤ه .
٨- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين : البصريين والكـــوفيين – ابـــن الأنباري : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ٢٠٠٣م ، ج١ ص٣٠٠ .
٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة – السيوطي : جلال الـــدين عبـــد الرحمن بن أبي بكر ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة المكتبـــة العصرية – لبنان / صيدا .

١٠- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة – الفيروزآبادي : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب ، طبعة دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٠م .
١١- البيان والتبيين – الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب ، طبعة دار ومكتبة الهلال ، بيروت – ١٤٢٣هـ .
١٢- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم – التنوخي : أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر االمعري ، تحقيق : الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو ، طبعة هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ط٢ ، القاهرة – ١٩٩٢م .
١٣- تاريخ النحو العربي في المشرق والمغرب – د. محمد المختار ولد أبّاه ، طبعة دار الكتب العلمية ، ط٢ ، بيروت – ٢٠٠٨م .
١٤- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك – المرادي : أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ ، شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، الناشر : دار الفكر العربي ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
١٥- الجمل في النحو – الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، تحقيق : د. فخر الدين قباوة ، ط١٥ ، ١٩٩٥م .
١٦- الجنى الداني في حروف المعاني- المرادي : أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ ، تحقيق : د فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٢م .
١٧- الخصائص – ابن جنّي : أبو الفتح عثمان بن جني ، ط٤ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
١٨- سير أعلام النبلاء – الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز ، طبعة دار الحديث ، القاهرة – ٢٠٠٦م .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

١٩- شرح ابن عقيل – ابن عقيل : عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢٠ ، دار التراث ، القاهرة – ١٩٨٠م .
٢٠- شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك – بدر الدين محمد بن الإمام جمال الدين محمد بن مالك ، تحقيق : محمد باسل عيون السود ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠٠م .
٢١- شرح التسهيل – ابن مالك : أبو عبد الله جمال الدين محمد بن عبد الله ،تحقيق : د. عبد الرحمن السيد ود. محمد بدوي المختون ، ط١ ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، ١٩٩٠م .
٢٢- شرح كتاب سيبويه ، – السيرافي : الحسن بن عبد الله المرزبان ، تحقيق : أحمد حسن مهدلي وعلي سيّد علي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠٨م .
٢٣- شرح المفصل – ابن يعيش : : يعيش بن علي بن يعيش ، قدم له : الدكتور إميل بديع يعقوب ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – ٢٠٠١م .
٢٤- طبقات فحول الشعراء – محمد بن سلام الجمحي ، تحقيق : محمود محمد شاكر ، طبعة دار المدني – جدة .
٢٥- الكامل في اللغة والأدب – المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٣ ، طبعة دار الفكر العربي ، القاهرة – ١٩٩٧م .
٢٦- الكتاب – سيبويه : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، ط٣، مكتبة الخانجي ، القاهرة – ١٩٨٨ م .
٢٧- اللباب في علل البناء والإعراب – العكبري : أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، تحقيق : د. عبد الإله النبهان ، ط١ ، دار الفكر – دمشق ١٤١٦ – ١٩٩٥م .

٢٨- المدارس النحوية – شوقي ضيف : أحمد شوقي عبد السلام ضيف ، طبعة دار المعارف .
٢٩- معجم الأدباء – ياقوت الحموي : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله ، تحقيق : إحسان عباس ، ط١ ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت – ١٩٩٣م .
٣٠- المقتضب – المبرد : أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر ، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة ، طبعة عالم الكتب – بيروت .
٣١- من تاريخ النحو العربي – سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني ، طبعة مكتبة الفلاح .
٣٢- النحو الوافي – عباس حسن ، ط٢٥ ، دار المعارف .
٣٣- نزهة الألباء في طبقات الأدباء – ابن الأنباري : أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله ، تحقيق : إبراهيم السامرائي ، طبعة مكتبة المنار ، ط٣ ، الزرقاء – الأردن – ١٩٨٥م .
٣٤- نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة – الشيخ محمد الطنطاوي ، تحقيق : أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن إسماعيل ، ط١ ، طبعة مكتبة إحياء التراث الإسلامي ، ٢٠٠٥م .
٣٥- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان – ابن خلكان : أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ، تحقيق : إحسان عباس ، طبعة دار صادر – بيروت .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١.	ملخص	٧٣٢٣
٢.	Abstract	٧٣٢٤
٣.	أوّلاً : نشأة النحو وأسبابها :	٧٣٢٥
٤.	ثانياً : المدارس النحويّة ومذاهبها ونهجها :	٧٣٣٣
٥.	أ/ المدرسة البصريّة :	٧٣٣٣
٦.	ب/ المدرسة الكوفيّة :	٧٣٣٦
٧.	ثالثاً : سيرة يونس بن حبيب وأخباره :	٧٣٤٠
٨.	آراء يونس بن حبيب ورواياته في كتاب سيبويه :	٧٣٤٣
٩.	أوّلاً : المسائل النحويّة التي تحمل صفة الرأي المنفرد :	٧٣٤٣
١٠.	ثانياً : المسائل النحويّة التي تحمل رأياً تبناه الكوفيون لاحقاً :	٧٣٥١
١١.	ثالثاً : روايات يونس عن أبي عمرو بن العلاء :	٧٣٥٥
١٢.	رابعاً : موافقة آراء يونس لقبيل من النحاة :	٧٣٥٦
١٣.	خامساً: روايات يونس بن حبيب عن العرب في الشواهد والغريب :	٧٣٦٠
١٤.	خاتمة البحث ونتائجه :	٧٣٦٤
١٥.	أهم المصادر والمراجع :	٧٣٦٦
١٦.	فهرس الموضوعات	٧٣٧٠

تم بحمد الله